رفع
المسهم
إعداد
البحث
الأدبي
إعداد د. محمد عبد الرحمن الشامخ
دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

إعداد البحث الأدبي

د. محمد عبد الرحمن الشامخ

ص. ب. ١٠٥٠ ـ هاتف ٤٧٧٧١٢١ ـ ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م

مقدمة

تيسّر لي في وقت من الأوقات أن أَطَّلع على عدد من الكتب الجامعية التي ترشد الباحثين من الطلاب إلى النهج العلمي في جمع المواد المتصلة ببحوثهم، وتزودهم بالطرق المتبعة في تصنيف المعلومات وترتيب المصادر والمراجع. فلما اجتمع لي من هذه المؤلفات طائفة من الأقوال التي تواصى الباحثون بها، ومقتطفات من المعلومات العامة الأساسية التي تناقلها المؤلفون في كتبهم، رأيت أن أُعَرِّبها تعريباً مرناً، وأصوغها صياغة جديدة تبعد بها عن ذلك الغموض الذي يلازم الشذرات المتناثرة حين يراد لما تفرق منها أن يأتلف، ولما تشتت أن يلتئم.

وهكذا أتى القسم الأول من هذا الكتاب وقد حوى الكثير من تجارب الباحثين الجامعيين، ولكن فيه القليل مما يعود إلى اجتهاد المؤلف وتجربته.

أما القسم الثاني فهو ترجمة نصيه لفصول نشرها الأستاذ ج. واطسون الأستاذ بجامعة كمبردج عام ١٩٧٠ في كتابه «The Literary Thesis ـ الأطروحة الأدبية».

وقد عمرت المكتبة العربية في السنوات الأخيرة بالمؤلفات التي ترشد الطالب الباحث في سيره. ولما كان معظم هذه الكتب يحفل بالموضوعات العامة التي تشترك فيها العلوم جميعها، فإن المكتبة ما زالت بحاجة إلى مزيد من التأليف في المسائل التي يختص بها كل فرع من فروع المعرفة.

وتحاول هذه الصفحات أن تلم بأمور البحث العامة، ولكنها تحرص على أن تتناول بشيء من التفصيل تلك القضايا التي تعرض للباحث في ميدان الأدب.

محمد عبدالرحمن الشامخ

القسم الأوّل

إعداد البحوث الفصلية

١

البحث عن المصادر والمراجع

فهرسة الكتب:

لم تعد النظم المكتبية أمراً بسيطاً ميسراً، فقد تطورت المعرفة الإنسانية وتشعبت ميادينها، ولهذا كان لا بد للطالب الباحث من أن يحرص في البدء على معرفة النظام الذي تتبعه المكتبة التي سيعتمد عليها في الحصول على معظم مصادره ومراجعه.

وتفهرس المطبوعات في المكتبة بحسب نوعها، فهي تقسم عادة إلى كتب ودوريات وكتيبات (رسائل) ونشرات. ولكن الطالب سيجد أن الجزء الأكبر من المادة العلمية التي يبحث عنها قد دونت في كتب مطبوعة. أما المخطوطات فإن كثيراً من المكتبات تجعل لها فهارس وأماكن خاصة بها.

ولعل أيسر الطرق للاهتداء إلى الكتب هي الرجوع

إلى فهرس البطاقات بالمكتبة، فهو يفهـرس في أغلب المكتبات كل ما لدى المكتبة من كتب، ولكنه لا يشمل المقالات المنشورة في المجلات. وتفهرس المكتبة مقتنياتها ــ في العادة ــ ثلاث فهرسات: فهرس هجائي للمؤلف بحسب اسم عائلته أو اسمه الأول، وفهرس للعنوان بحسب أول حرف من حروفه، وفهرس للمـوضوع. فكتاب «تاريخ النقد الأدبـي عند العرب» للدكتور إحسان عباس يفهرس ــ مثلاً ــ ثلاث مرات:

١ ــ فهرسة للمؤلف: عباس، إحسان، أو إحسان عباس.

٢ ــ فهرسة للعنوان: «تاريخ النقد الأدبـي عند العرب».

٣ ــ فهرسة موضوعية في باب «النقد الأدبـي».

وإذا اشترك في تأليف الكتاب مؤلفون آخرون، فإن الكتاب يفهرس بحسب اسم كل واحد من المشتركين في تأليفه. وربما تتم فهرسة الكتاب بحسب اسم محققـه أو جامعه. وعادة ما يفهرس الكتاب موضوعياً في أكثر من موضوع، ذلك لأن معظم الكتب تعالج عدة موضوعات. وسيجد الطالب أن فهرس الموضوعات في المكتبة ذو فائدة

كبرى، غير أن هذا الفهرس لن يستقصي كل ما كتب في الموضوع الذي يبحث فيه، ولهذا فإنه يحسن به ألا يعده الوسيلة الوحيدة لحصر مصادره، أو القائمة الكاملة لمراجعه، بل عليه أن يعتبره أداة من الأدوات التي تساعده في المرحلة الأولى من بحثه.

ولا بد للطالب حين ينقب في فهرس الموضوعات من أن يرجع إلى عدة عناوين مترادفة أو متقاربة. فإذا كان يبحث في باب الاستعارة مثلاً، فإن من المفيد أن يرجع إلى عناوين الموضوعات الآتية: المجاز، البلاغة، البديع، الخيال، الصورة الشعرية، الأسلوب وما أشبه ذلك من موضوعات.

وقد يكون فهرس المكتبة التي يلجأ إليها الطالب محدوداً، ولذا فإنه لن يستغني عن الرجوع إلى الفهارس المطبوعة التي تصدرها المكتبات الكبرى مثل مكتبة الكونجرس الأميركي والمكتبة البريطانية والمكتبة الوطنية بباريس، والفهارس الموحدة التي تضمنها بعض البلدان محتويات مكتباتها.

وحين يقرأ الطالب كتاباً ألف في الحقل الذي يبحث فيه، فإنه سيجد في ثبت المراجع المدون في هذا الكتاب، وفي الهوامش التي تشير إلى كتب أخرى صنفت في الموضوع

نفسه فائدة كبرى، ذلك لأنها من صنع مؤلف مختصّ في الميدان الذي يبحث فيه، وقد يجد الباحث أن من المفيد أن يرجع ـ في البدء ـ إلى قوائم المراجع التي ترد في دوائر المعارف وفي كتب التاريخ الأدبي.

فهارس المجلات الدورية والجرائد:

لا تذكر المقالات ـ غالباً ـ في فهرس المكتبة أو في كتب الفهارس العامة. ولا بد للطالب من أن يبحث عنها في فهارسها الخاصة بها. وللمجلات قيمة علمية بالغة، ذلك لأنها تحوي مقالات عميقة متخصصة لا تجد سبيلها إلى الظهور في وسيلة من وسائل النشر الأخرى، كما أنها تسارع كذلك إلى نشر نتائج البحوث والاكتشافات العلمية قبل ظهورها على الناس في هيئة كتاب. ولهذا فإن في هذه المجلات من الحقائق والمواد العلمية ما قد لا يجده الباحث فيما سواها من مصادر البحث ومظانه.

الكتيبات والنشرات:

تختلف الكتيبات والنشرات في طريقة طبعها وفي قيمتها العلمية، ولذلك فإن المكتبات لا تتفق في طريقة حفظها وتصنيفها. وقد يكون من الصعب على الباحث أن

يجدها مفهرسة، ولكن بعض المكتبات تهتم ببعض الكتيبات والنشرات فتفهرسها كما لو كانت كتباً. والأمر في هذا يختلف ما بين مكتبة وأخرى، ذلك لأن بعض المكتبات تهتم بناحية معينة من نواحي المعرفة أكثر من اهتمامها بالنواحي الأخرى.

كتب المراجع:

تخصص معظم المكتبات رفوفاً لكتب المراجع العامة التي تمد القارىء بمعلومات أساسية في الموضوع الذي يريده، مثل المعاجم اللغوية والمعاجم العلمية المتخصصة ودوائر المعارف.

وقد يجد الباحث أن من المفيد أن يتعرف إلى موضوعه بالقراءة في دوائر المعارف والمعاجم المتخصصة وتواريخ الأدب وكتب التراجم، ولكن عليه أن يعتبر هذا خطوة أولى، وألا يتخذه وسيلة سهلة لتفادي عناء البحث ومصاعبه، إذ لا تتجاوز وظيفة هذه المراجع إمداد الباحث بمقدمة علمية يوثق بصحتها، وتزويده بثبت موجز يحوي بعضاً من مصادره ومراجعه.

ثبت المراجع المؤقت

وظيفة الثبت:

تبدأ الخطوة الأولى في البحث بإعداد ثبت بالمراجع، ومن منافع هذا الثبت أنه يبين للباحث ما درس من قبل في موضوعه، وما ترك له لكي يبحث فيه. كما أنه يمده بفكرة شاملة عن الموضوع، ويزوده بعناوين المؤلفات التي كتبت في ميدان بحثه، ويمكنه من العمل بطريقة منظمة.

إعداد الثبت:

وحين يبدأ الطالب في إعداد ثبت المراجع فإنه يحسن به أن يفيد من وسائل الفهرسة والمراجع المتوافرة لديه، فيقرأ أولاً عن موضوعه في بعض المؤلفات العامة كدوائر المعارف وتواريخ الأدب وكتب التراجم. ثم يرجع بعد ذلك إلى كتب الفهارس الأدبية (الببليوجرافية) وإلى المؤلفات التي تورد قوائم بمراجع الموضوعات الأدبية،

وذلك لكي يستمد منها ثبتاً يشمل معظم مصادره ومراجعه.

وهناك عدد من هذه الكتب التي لا يستغني الباحث في الأدب العربي عنها، ومنها:

بروكلمان، كارل	تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) وترجمت أجزاء منه إلى اللغة العربية
الجامعة الأميركية ببيروت	الأدب العربي في آثار الدارسين
حمادة، محمد ماهر	المصادر العربية والمعربة.
داغر، يوسف أسعد	مصادر الدراسة الأدبية.
الزركلي، خيرالدين	الأعلام.
زيدان، جرجي	تاريخ آداب اللغة العربية.
الساعاتي، يحيى محمود	الأدب العربي في المملكة العربية السعودية (ببليوجرافيا).
سركيس، يوسف إليان	معجم المطبوعات العربية والمعربة.
سزكين، فؤاد	تاريخ التراث العربي (بالألمانية). ترجمت أجزاء منه إلى العربية.
ضيف، شوقي	تاريخ الأدب العربي.

كحاله، عمر رضا	معجم المؤلفين.

الوهابي، خلدون	مراجع تراجم الأدباء العرب.

Besterman, Theodore,	A World Bibliography of Bibliographies, Switzerland, 1966.
Ettinghausen, Richard,	A Selected and Annotated Bibliography of Books and Periodicals in Western Languages Dealing with the Near and Middle East. Washington, D.C, 1952.
Pearson, I.D,	Index Islamicus, London, 1974.

ويفهرس هذا الكتاب المقالات التي نشرت باللغات الغربية عن الموضوعات الإسلامية.

وبما أن هذه الكتب المرجعية قد لا تكون حديثة في الصدور، مواكبة لما تخرجه المطابع في كل يوم، فإن من الخير للباحث أن ينقب بعد ذلك عن مراجع أخرى في فهرس الموضوعات بالمكتبة.

وإذا كانت هناك مؤلفات عامة كتبت في الموضوع الذي يريد الطالب أن يبحث فيه، فعليه أن يرجع إليها منذ البدء لكي يلم بالمصادر والمراجع. وعليه كذلك أن يبحث في فهرس المؤلفين بالمكتبة عن كل من كتب في

موضوعه، لأن الكاتب إذا ألف في موضوع ما، فإنه ربما يأتي ببعض المعلومات عن هذا الموضوع في كتاب آخر من كتبه. ومن نافلة القول أن الباحث الجاد لن يتوانى عن الرجوع إلى مصادر أخرى غير الكتب كالمقالات والوثائق والكتيبات.

إذا استعان الطالب بهذه الوسائل المرجعية أمكنه أن يصنع لنفسه ثبتاً مؤقتاً يدون فيه معظم مصادره ومراجعه، ويكون هادياً له في خطواته الأولى التي يخطوها في مراحل البحث.

ويحسن أن يكون هذا الثبت شاملاً مرتباً يسير وفق نظام معين يتبعه الباحث في فهرسته. فإذا كان البحث في دراسة أديب من الأدباء البارزين مثلاً أمكن أن يصنف الثبت بطريقة[1] تشبه هذه:

أولاً: مؤلفاته.

ثانياً: مصادر ومراجع:

(أ) كتب خاصة به.

(ب) كتب تناولته بالبحث.

(ج) مقالات المجلات.

---

(١) استخدم هذه الطريقة يوسف أسعد داغر في كتابه «مصادر الدراسة الأدبية»، بيروت، ١٩٧٢.

تدوين المعلومات

استخدام الجذاذات:

إن من إهدار الجهد والوقت أن يعمد الباحث الناشىء إلى كراسة مجلدة فيدون فيها المعلومات والملحوظات بطريقة متتابعة غير مرتبة، ذلك لأنه سيكون من الصعب عليه حين تتراكم المعلومات وتتكدس الملاحظات أن يعثر على نقطة معينة يريدها، وسيكون عسيراً عليه أن يرتب هذه الملحوظات وفق ما يقتضيه موضوع بحثه.

ولعل من أفضل الطرق أن تدون الملاحظات والمعلومات في كراسة ذات أوراق مثقبة غير مجلدة، تمكن الباحث من أن ينقل أوراقها من موضع إلى آخر، وأن يصنفها بحسب عناوين البحث المؤقتة. وقد يلجأ بعض الباحثين إلى استخدام نظام البطاقات. وسواء على الباحث

أَفَضَّل هذه الطريقة أم تلك، فإن هناك بعض الأمور التي يحسن به أن يراعيها في استخدام هذه الجذاذات من الأوراق والبطاقات:

١ ــ أن تكتب الملحوظات مباشرة في الجذاذة.

٢ ــ ألا يكتب في الجذاذة إلا ملاحظة واحدة أو معلومات تتصل بنقطة محددة. فهذا يساعد في تنظيمها بحسب موضوعها، ويهيء للباحث أن يجد في متناول يده جميع الملحوظات التي جمعها من مصادر متعددة حول نقطة معينة.

٣ ــ حين ينتهي الباحث من تدوين المعلومات، فإن عليه أن يبين مصدرها، فيذكر اسم المؤلف وعنوان المصدر مختصراً ــ إن لم يخش اللبس ــ ورقم الصفحة. فمثلاً إذا كانت المعلومات قد أخذت من الصفحة التاسعة من الجزء الثاني من معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، أمكن أن يكتب في أسفل الجذاذة ما يأتي:

كحالة، معجم،٢،٩. أما اسم المؤلف كاملاً وعنوان المصدر تاماً ومعلومات النشر الأخرى فإن

مجالها أن تسجل في جذاذة يخصصها الباحث لكل مصدر رجع إليه.

٤ ـ يحسن بالطالب أن يميز بوضوح أي جزء نقله من المصدر بنصه، وأن يضعه بين علامات الاقتباس، حتى ولو كان ما أخذه عبارة عن جملة قصيرة، وذلك بعداً به عن أن تظن به الظنون فيما لو ضمنه بحثه دونما إشارة إلى مصدره.

٥ ـ حين ينتهي الطالب من تدوين الملاحظة ومصدرها في الجذاذة، فإن عليه أن يرتبها وفق الموضوع، جاعلاً لكل مجموعة متجانسة من الجذاذات عنواناً فرعياً يميزها. فإذا كان موضوع بحثه «الخيال الشعري عند أبي تمام» مثلاً أمكنه أن يقسمه إلى عناصر جزئية منها: الصورة الكلية، الصورة الجزئية، المجاز، الاستعارة، وتكون هذه العناصر هي العناوين الفرعية التي ترتب كل مجموعة من الجذاذات بحسبها.

تسجيل المواد العلمية:

يعتمد اختيار المادة العلمية المسجلة في الجذاذة على

هدف الباحث، فهو أعرف بما يقتضيه موضوع بحثه. وعلى كل حال فإنه يحسن به أن يراعي في ذلك أموراً منها:

١ ـ أن يقرأ عن موضوع البحث قراءة عامة قبل البدء في تسجيل الملحوظات، وأن يتصفح الكتاب الذي يريد أن يرجع إليه قبل تدوين الملاحظات.

٢ ـ أن يتخذ لنفسه نظاماً معيناً في تدوين المعلومات يتبعه بدقة في جميع مراحل عمله.

٣ ـ ألا يسجل من المعلومات إلا ما كان مهمًا، وأن يحرص على تدوين المعلومات الدقيقة المحددة مثل الحقائق العلمية والأعداد والتواريخ والإحصائيات. أما المعارف العامة المتداولة فعليه أن يقلل من تسجيلها.

٤ ـ إذا أراد الطالب أن ينقل معلومات معينة أو يقتبسها فإن عليه أن يعتمد في هذا على مصدرها الأصلي، لا على مرجع ثان نقلها عنه. ذلك لأن هذه المعلومات ربما تكون قد تعرضت خلال النقل للتحريف والتصحيف.

٥ ـ أن يفرق بوضوح بين ما اقتبسه من المرجع وما اختصره منه. وإذا أراد أن يقتبس فليقتبس بدقة

وأمانة. وليس من السهل أن يبين للباحث الناشىء ما يصلح للاقتباس وما لا يصلح إلا للاختصار، ولكن ربما وجد الباحث أنه بحاجة إلى أن يقتبس قولاً صيغ صياغة محكمة، أو مادة علمية مهمة في مجال المناقشة، أو رأياً يريد أن يعلق عليه ويناقشه.

٦ ـ حين يتم الطالب تدوين أي جذاذة، فإن عليه أن يراجع مادتها، لكي يتفادى الأخطاء. وذلك لأن الغلط في ترقيم الصفحات أو حذف عنوان من العناوين قد يستغرق كثيراً من وقته وجهده عندما يضطر إلى تصحيح غلطه فيما بعد. ويحسن بالباحث بعد هذا أن يجنب بحثه كل ما يجعل القارىء بعد ذلك في شك من النتائج العلمية التي أتى بها، حين يكتشف أن الباحث لم يلتزم الدقة في اقتباسه، أو لم يراع الصحة في المعلومات التي أوردها.

تلخيص المعلومات:

لا يستغني الباحث أثناء جمع المعلومات عن اللجوء إلى اختصار المعلومات وصوغها في قالب موجز يحتفظ بجوهر الفكرة، ويتفادى التفصيل. ومن المفيد في

استخدام طريقة تلخيص المعلومات أن يحرص الطالب على أمور منها:

١ ـ أن يحتفظ الملخص بأفكار النص الأصلية بدقة وأمانة. ولا يصح أن تشوه هذه الأفكار أو تتعرض للتحوير والتحريف.

٢ ـ ألا يختار الطالب من النص إلا ذلك الجزء الذي يحمل من الحقائق والآراء ما يهمه في بحثه ويتصل بموضوعه.

٣ ـ لا بد في التلخيص من أن تحذف فيه التفصيلات المتعمدة والشواهد والأمثلة.

٤ ـ يكتب الطالب الملخص بأسلوبه، فذلك أدعى إلى الوضوح والإيجاز. ولا يجوز أن يكون الملخص نتفاً مقتطفة من النص الأصلي.

٥ ـ إذا أراد الطالب أن يضمن ملخصه عبارات مقتبسة من النص الأصلي، فلا بد من أن توضع هذه العبارات بين علامات الاقتباس.

٦ ـ لا بد من أن تكون للملخص وحدة شكلية خاصة به، وذلك كما لو كان مقالة قصيرة أو فقرة وافية تكتب عن موضوع النص الأصلي.

٤

كتابة البحث

معالجة الموضوع:

يخيل إلى بعض الطلاب أن الكتب التي ألفت في مناهج البحث وطرقه كفيلة بالأخذ بأيديهم في مسالك البحث ودروبه، ولكن هذا الوهم سرعان ما يتلاشى حينما يقرأ المبتدىء منهم عدداً من هذه الكتب ثم يجد حين يريد كتابة البحث أن سبيله ما زال محفوفاً بالعقبات. ولعل السبب في هذا أنه قد حمَّل هذه الكتب مسؤولية لا تستطيع تحملها، وأحلَّها منزلة لا تقوى على تبوِّئها، فهي ليست سوى مرشد يبصر الطالب بمعالم طريق يريد أن يسلكه، ودليل يوجه خطواته الأولى حين يرتاد ميدان البحث بعقله وقلمه.

إن البحث عملية فكرية منطقية تعتمد على الدربة والمران. ولذلك فإنه لا بد للطالب من أن يصنع بحثه على

عين أستاذه المشرف وبصره. وإن جميع الكتب المنهجية لن تغني عنه شيئاً إذا لم يتمرس بالبحث في ظل أستاذ مجرب أمين، وإذا لم يكن أثناء ذلك متحلياً بالصبر والأناة مشغوفاً بحب المعرفة.

وحين يختار الطالب موضوعاً لبحثه، يضع لهذا البحث خطة موجزة مرنة مؤقتة، تعتمد على تصور جيد للموضوع، وإدراك لأهم جوانبه، وليس هناك ما يدعو إلى أن تكون الخطة في البحوث الأدبية فهرساً مفصلاً يحوي كثيراً من الآراء الفرضية، ويبنى على أحكام ظنية تسبق الدرس والاستقصاء. إن البحث رحلة فكرية، وما خطة البحث سوى خطوط غائمة لطريق مؤقت متخيل سيصاب بكثير من التغيير والتحوير. ولهذا فإن من العنت أن يلزم الطالب نفسه بأن يصف وصفاً دقيقاً شاملاً رحلة لم يقم بها بعد.

ويختلف البحث الفصلي عن الرسالة الجامعية من حيث الشكل والموضوع، ولذا فإن من بر الطالب بنفسه أن يختار لبحثه الفصلي موضوعاً محدداً مركزاً يستطيع أن يوفيه حقه من المعالجة في نطاق الزمن القصير المخصص له، وربما كانت الآثار الأدبية النصية مجالاً خصباً لهذه البحوث،

فهي تدرب الطلاب على تذوق الأدب ونقده، وتبعدهم عن ترداد ما ذكره المؤلفون من قبل من حقائق تاريخية، وأحكام نقدية عامة. كما أنها تساعدهم في تلمس ما يسهمون به من آراء فنية مما يكون عاملاً من العوامل التي تدفعهم إلى حب البحث الأدبي.

ويجدر بالطالب أن يفيد من نظريات النقد الأدبي الحديث في تناول الموضوعات الأدبية، وأن يصرف جل اهتمامه إلى تلك العناصر الفنية التي تكون النص الأدبي. فإذا كان يبحث في الشعر مثلاً أمكنه أن ينظر في أمور فنية منها: الصورة والرمز والبناء والموسيقى الداخلية والتجربة الوجدانية والفكرة التأملية. ويحسن به كذلك ألا يلجأ إلى الموضوعات المعنوية التي يمتطيها بعض الدارسين حيث يقسمون البحث في شاعر من الشعراء إلى أغراض من مثل: المديح والهجاء والفخر والنسيب. وذلك لأن اهتمام الباحث سيكون حينئذ موجهاً إلى قضايا معنوية موضوعية، أما الجوانب الفنية فقد تكون في معالجتها عرضة للتشتت والتكرار.

ويعمد بعض كتاب الأبحاث الأدبية إلى الإتيان بمقدمات طويلة في التاريخ السياسي والجغرافيا والاجتماع

مما قد لا يتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً، ولا يكون ذا أهمية في فهم النص الأدبي. ولعل من الأجدر بالباحث ـ إن لم يجد بداً من الحديث في شؤون التاريخ أو الجغرافيا أو الاجتماع أو الاقتصاد ـ أن يقتصر في هذا على مقدمة موجزة مركزة، ترتبط بموضوع البحث ارتباطاً وثيقاً، وتعتمد على مراجع تعتبر حجة في هذا المجال.

وربما شغل الطالب نفسه ـ ولا سيما حين يقوم بكتابة رسالة جامعية ـ بالتفكير في حجم البحث وعدد صفحاته، وليست هناك قاعدة يحتكم إليها في هذا الشأن، ولكن المعوَّل عليه في هذا هو أن ينال الموضوع حقه من الدرس والتمحيص، وأن يكون نسيجه محكمًا لا هلهلة في بنائه، ولا تورم في أطرافه.

ومن الأفضل أن يولي الباحث الناشىء فصول البحث جميعها حظاً متساوياً من الاهتمام، وقدراً وافياً من المعالجة والإحكام. لأن الحماسة قد تدفعه ـ في بادىء الأمر ـ إلى أن يستنفد كثيراً من وقته وجهده في تحبير الجزء الأول من بحثه، حتى إذا أتى على الأجزاء الأخيرة أصابه شيء من الإعياء والمُلال، فأخرجها بصورة منقوصة مُبتسرة.

وتقتضي المنهجية في البحث أن تعالج المواد الأدبية بطريقة موضوعية خالية ـ بقدر الإمكـان ـ من الميل الذاتي. وإذا كانت للباحث آراء يريد إبداءها، فعليه أن يجعلها متميزة واضحة مدعمة بالأدلة. كما أن عليه ألا يخلط بين ما يعرفه معرفة يقينية وما هو عبارة عن آراء ظنية خاضعة للنقاش والمراجعة. ويدرك الباحث أنه إنما يقوم بعمل ذهني يعتمد على رصانة الفكر وسلامة المنطق، وأن لزاماً عليه من أجل ذلك أن يجعل أسلوبه منطقياً واضحاً منظمًا مهذباً، وأن يأتي برأيه حصيفاً مبنياً على الحقائق، لا يصدر فيه عن تعصب، ولا يحتكم فيه إلى هوى.

ومما ينبغي مراعاته ألا يلقي الطالب الباحث القول على عواهنه، فيصدر أحكاماً جزافية عامة، وألا يستخدم تلك العبارات النقدية التي يشيع استعمالها بين الكتاب في قوالب مرددة مكررة. وليس الباحث بأديب إبداعي. ولذلك فإنه يحسن به أن يدع تلك الأساليب المجازية المجنحة التي تُجَمِّل العمل الأدبـي، ولكنها تؤدي بالبحث إلى الإبهام والغموض.

ولا يلائم الأسلوب العلمي أن يلجأ الباحث في معالجة الآثار الأدبية ولا سيما الشعر إلى أسلوب الحل أو نثر

المنظوم، حيث يعقب على النص الأدبي بفقرات ليس فيها إلا ما يبين المعنى اللغوي، ويفسر الماء بعد الجهد بالماء، ثم ينتقل بعد ذلك إلى نص آخر فيتناوله بالطريقة نفسها، حتى إذا ما انتهى البحث صار في معظمه نثراً لما نظم، وشرحاً لما ظهر من المعاني. وقد كان حرياً بمثل هذا الكاتب أن يعدِّي عن هذا، وأن يبين ما في النص من جوانب فنية، وأن يشير إلى ما فيه من أبعاد نفسية وفكرية، وما يحفل به من طاقة إيحائية.

توثيق البحث:

يستطيع الباحث المجرب أن يحسن استخدام الهوامش[1]، وأن يقرر ما هو بحاجة إلى تدعيم بالوثائق، وما هو من الوضوح والبديهية بحيث لا يحتاج إلى شيء من ذلك. ويشبه البحث البناء من حيث الحاجة إلى وضع دعامة تحت كل جزء مهم من أجزائه. وليست الدعامة

---

(١) إن الدقة في صنع الهوامش والتزام طريقة معينة في ترتيبها دليل على ما لدى الباحث من ميل إلى الإجادة، وحرص على الإتقان. وهناك طرق متعددة لكتابة الهوامش. ومن الممكن أن يرجع في هذا إلى كتاب مثل: منهج البحوث الجامعية للطلاب الجامعيين، تأليف ثريا عبدالفتاح ملحس، بيروت ١٩٦٠.

سوى الهامش. ولهذا فإن أركان البحث وأجزاءه الرئيسة تستلزم وجود دعائم تضمن تماسك البناء ورسوخه. أما الجزئيات والقضايا الثانوية التي ترد خلال البحث فلا تحتاج إلى هوامش تدعمها، لأن تماسك البناء سيشد من أمرها. إن الآراء والعبارات التي تعتمد عليها مناقشة الباحث في حاجة إلى أن تدعم بالهوامش، أما ما عداها فمن الأنسب الا يثقل بالتهميش.

ومن المفيد أن تستخدم الهوامش في أمور منها:

١ ـ إذا أتى الباحث باقتباس مباشر، واتخذه دليلاً يعزز به رأيه فيجب أن يذكر في الهامش مصدر هذا الاقتباس. أما المعلومات التي اقتبست لمجرد الحلية فقد لا يحتاج الأمر إلى الإشارة إلى مصادرها في الهامش.

٢ ـ حين تكون المعلومات التي ترد في البحث غير مألوفة بالقدر الذي يجعل معظم القراء يعرفونها أو يستطيعون العثور عليها بسهولة، فإن من الضروري أن يشار إلى مصدرها في الهامش. أما المعلومات المتواترة، والحقائق المعروفة فلا حاجة بها إلى مثل هذا. فتاريخ وفاة شاعر مشهور مثل شوقي

لا يشار إلى مصدره في الهامش، لأن القارىء الذي لا يصدق الباحث في تفصيلات كهذه يستطيع أن يتناول أي مرجع أدبي عام للتأكد من هذه الحقيقة. ولكن إذا كانت المعلومات جزءاً من رأي جدلي يسوقه الباحث في مناقشة جادة، فإن عليه أن يدعمها بالهوامش.

٣ ـ إن من المحتمل في أية دراسة منهجية أن يجد الباحث نفسه في ميادين تختلف فيها الآراء. وسواء عليه أرجح رأياً على رأي أم لم يفعل، فإنه لا بد له من أن يتحقق من أنه قد أشير في الهامش إلى مصادر الآراء جميعها.

٤ ـ وتوضع في الهامش ـ عادة ـ التفصيلات والإحصائيات والأرقام والجداول البيانية وجميع المعلومات الإضافية. حيث تكون في متناول يد القارىء، ولكنها لا تخل بترابط النص، ولا تعوق سير البحث. ومما يحسن وضعه كذلك في الهامش تلك التفصيلات التي لا تتصل بموضوع البحث ذاته، ولكنها لا تخلو من فائدة علمية في الحقل الذي تدور الدراسة في إطاره. وحين يشعر الباحث بأن

نقاشه في قضية من القضايا بحاجة إلى مزيد من الأدلة لكي يستطيع أن يقنع ناقداً يتسم بالمبالغة في الشك، فإن عليه أن يضع هذه الأدلة الإضافية في الهامش.

ماهية البحث:

إن البحث الأدبي إسهام فكري، وإضافة علمية. فإذا لم يضف الدارس شيئاً إلى ميدان المعرفة، ولم يسهم بنصيب في مجال الفكر، فإن حظه من عمله التعب والعناء.

وقد يسعى بعض المتعلمين في البلدان النامية إلى الحصول على درجات الماجستير والدكتوراه، حتى إذا ما نالوها، وتلقبوا بها انصرفوا عن البحث، وهجروا الدرس، فخسرت بذلك أوطانهم عقولاً مدربة وأقلاماً مثقفة.

وربما أتى هذا نتيجة لما يحفل به المجتمع من اهتمام بالشكل وتباهٍ بالمظهر. وإلا فإن الجامعات لا تعتبر الدرجة العلمية إلا ورقة تشهد لحاملها بأنه قد درس جزءاً معيناً من أجزاء المعرفة، وأن باستطاعته أن يبدأ في إجراء بحوث

منهجية في هذا الفرع وما جاوره من فروع المعرفة. وإذا كانت الدرجة لا تمنح إلا لمن أبدى قدرة على الاستقلال الذهني، وقام بخطوات جادة في سبيل التمرن على طرق البحث العلمي، فهي تعني أنها نقطة الانطلاق وليست نهاية المطاف. ولعل هذه الحقيقة تقتضي ألا يركن من يحصل على هذه الدرجة إلى ظل ظليل، بل عليه أن يأوي إلى المكتبة، ويعتكف في المختبر لكي يواصل البحث والدرس، ويسهم في إيجاد قاعدة علمية رصينة يقوم عليها البناء الحضاري في وطنه.

وقد دأب نفر من كتاب الصحافة الأدبية في بعض البلدان العربية على التشكيك بجدوى المنهجية في دراسة الأدب، وعلى اتهام الباحثين الجامعيين بالتحجر والقعود عن مواكبة الركب الأدبي. وحين يفعلون ذلك فإنهم يدعون إلى أسلوب صحفي يغلب عليه الميل الذاتي في إصدار الأحكام النقدية، ولا يحفل ــ أحياناً ــ بالتوثيق والتدليل في معالجة القضايا الأدبية. وربما كانت هذه الدعوة محببة إلى نفوس بعض الكتاب ممن جبلوا على تلمس أبسط المسائل الفكرية وأيسرها، ولكنها ليست في حقيقتها سوى إيثار للشطحات الذهنية، ودعوة إلى الجراءة في إلقاء القول على عواهنه، والتحرر من القيود المنطقية في عصر

علمي يعتمد على الرصانة الفكرية، والأساليب الموضوعية. وإذا ما قام بعض هؤلاء النقاد بتناول الأدب بالدرس، فإنهم لا يعرضون إلا للقضايا الأدبية الآنيّه، أما التراث الأدبي الذي أنتج في زمن غير زمنهم، فتضيق به نفوسهم، وتستخف به أقلامهم.

إن ما تتسم به الطريقة الجامعية من رزانة في الرأي، وتأنٍ في البحث، نظرة حضارية تساير روح العصر، وتلائم منطق المستقبل، أما الدعوة إلى ارتجالية الدرس، وذاتية النقد فهي تعلق بسفسطة جدلية عفى عليها الزمن، وإغراء لناشئه الكتاب باتباع الهوى، ونبذ الفكر الموضوعي الهادىء.

وقد يفتن بعض نقاد الصحافة بكل بدعة في ميدان الإنتاج الأدبي، والتنظير النقدي، فيتعصبون لها ويدعون إليها. ولكن الباحث الجامعي يقف من هذا الجديد الطارىء موقفاً فاحصاً متأنياً، فلا يؤخذ بالجديد لجدته، ولا يدعو إلى الغريب لغرابته، بل يوازن بينه وبين ما سبقه وما يعاصره من المذاهب والآراء. فيصبح التراث الأدبي أمامه إنتاجاً إنسانياً مترابطاً، لا ينابذ فيه معاصر سابقاً، ولا يدابر فيه سالف لاحقاً. ولعل من الخير أن يطامن هذا

النفر من نقاد الصحافة من غلوائهم، وأن ينظروا إلى نشاطهم الأدبي نظرة منصفة. فليس عملهم عوضاً عن البحث الجامعي، ولكنه قد يكون ذا فائدة للقارىء الذي يريد أن يلم بأطراف من الثقافة الأدبية المعاصرة. أما العمل الجامعي الذي يلتزم بقواعد العلم ومناهجه، فستبقى له قيمته في الحفاظ على رصانة العلم، وعمق الثقافة، وسيظل قائمًا برسالته في تدريب العقول الناشئة على المنطقية الفكرية، وتخليص الأقلام من آثار الجموح العاطفي والشطط الذهني.

□ □ □

مراجع القسم الأول

- Barzun, Jacques; Henry F. Graff. The Modern Researcher. New York 1962.
- Gatner, Elliott S.M. ; Francesco Cordasco. Research and Report Writing. New York, 1966.
- Hubbell, George Shelton. Writing Term Papers and Reports. New York, 1967.
- Steinmetz, Lee (ed). Analyzing Literary Works. New York, 1962.
- Turabian, Kate L. A Manual for Writers of Term Papers, Theses and Dissertations. Chicago, 1965.
- Vivian, Charles H; Bernetta M. Jackson. English Composition. New York, 1968.

القسم الثاني

إعداد الرسائل الجامعية

بقلم: ج. واطسون

ترجمة: د. محمد عبدالرحمن الشامخ

مهنة التدريس الجامعي

لا شك في أن من يعد بحثاً أدبياً للحصول على شهادة عليا إنما يهدف أساساً إلى أن يصبح أستاذاً جامعياً أو معلمًا في فرع من فروع التعليم العالي. وينشأ هذا الهدف ــ في العادة ــ من تجربة الطالب في المرحلة الجامعية الأولى، ولكن غالباً ما تكون هذه التجربة غير ناضجة، ذلك لأن الطالب قد يتأثر حينئذ بنفر معين من أساتذته أو بما يتناقله الطلاب عن الجو الجامعي من أقوال تتسم بالمبالغة، ولا تمت إلى الحياة الجامعية التي يعرفها أساتذة الجامعة إلا بصلة ضئيلة.

وقد أصبح الآن عدد من الأمور الواقعية المتصلة بالحياة الجامعية مألوفاً لا يحتاج إلى توضيح. فمن المعروف على نطاق واسع أن أستاذ الجامعة أقل أصحاب المهن العليا دخلاً، إذ لم يحصل إنسان ما على الثراء نتيجة لقيامه

بالتدريس في جامعة من الجامعات، كما أنه لا يقبل على العمل الجامعي من يميل إلى الحياة الاجتماعية العامة، ولكن من ينصرف إليه هم أولئك الذين جندوا أنفسهم لخدمة المعرفة. وربما كان من المعروف كذلك أن أساتذة الجامعة مشغولون دائمًا بأعبائهم الجامعية، وهذه حقيقة لا يلبث الطالب أن يدركها حين يرى زملاءه يترددون على معلمه أو مرشده، كما أن المقالات الفصلية ورزم مسودات الأبحاث التي تتراكم فوق مكتب أستاذ الجامعة ستحكي قصتها بنفسها. وسيظن من لم يرزق دقة في الملاحظة أن عمل أستاذ الجامعة مقصور على أشهر العام الدراسي، كما ستظل أسطورة الحياة الهادئة الوادعة التي ينعم بها الأساتذة الجامعيون قوية في أذهان أولئك الذين يوجدون بعيداً عن الجامعات، ولكن من يعش داخل أروقة الجامعة سرعان ما يدرك بأن هذا التصور ليس سوى وهم وخرافة. وحين يختار خريج الجامعة الجديد ميدان التدريس الجامعي فليس ذلك بوحي من ميله إلى الراحة والدعة، بل غالباً ما يكون الدافع الأساسي له هو ما في هذه المهنة من فرص لاستخدام طاقاته الفكرية في عمل ابتكاري، إذ أن الطلاب الجامعيين يدركون أن أعمال البحث والتدريس تتطلب قدراً غير عادي من الصبر وقوة الاحتمال. وإلى

جانب هذا فإن هناك أفكاراً خاطئة أخرى حول كيفية الانتماء إلى سلك التدريس الجامعي والطريقة التي يتحقق فيها للمرء الدخول في هذه المهنة.

□ □ □

مؤهلات العمل الجامعي

يسود الاعتقاد بأن الالتحاق في مهنـة التدريس الجامعي يتطلب شهادة بكالوريوس ممتازة ومؤهلاً علمياً عالياً مثل درجة الدكتوراه. ورغم أن المؤسسات الجامعية الأميركية غالباً ما تولي المؤهلات الرسميـة كالـدكتوراه اهتمامها، إلا أن في مثل هذا الاعتقاد مبالغة كبيرة بالنسبة للجامعات البريطانية. إذ يتضح من التقرير الذي قدمته لجنة روبنز عن التعليم العالي في بريطانيا عام ١٩٦٣ أن ٤١ ٪ من مدرسي الجامعات البريطانية لم يحصلوا على شهادة جامعية ممتازة، وأنه لم يكن بين مدرسي الجامعات الذين عينوا فيما بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦١ سوى ٣٩ ٪ ممن كانوا يحملون شهادة عليا حين التعيين، كما أنه لم يكن بين هؤلاء إلا ٢٨ ٪ من حملة الدكتوراه. وربما حصل نفر من فئة الـ ٧٢ ٪ الذين عينوا بدون دكتوراه على هذه الدرجة بعد التعيين، ولكن عدداً كبيراً من هذه الفئة قد

فُضِّلوا في التعيين على أولئك المرشحين الذين كانوا يحملون درجة الدكتوراه. وليس من المستغرب في الجامعات البريطانية أن يُفَضَّل في التعيين مرشح لا يحمل الدكتوراه على آخر يحمل هذه الدرجة، فهناك أقسام بل كليات كاملة في جامعات مشهورة لا يحمل معظم أعضاء هيئة التدريس فيها درجة الدكتوراه.

وتبدو هذه النظرة نحو المؤهلات العليا حتى في الأقسام الأدبية بالجامعات البريطانية، ولكن من الملاحظ في الآونة الأخيرة أن أعضاء هيئة التدريس الجدد أكثر ميلاً من زملائهم القدامى إلى حمل لقب الدكتوراه. وقد لا يكون هذا في الحقيقة نتيجة لسياسة أولئك الذين يتولون أمر التعيين في الجامعات، ولكن ربما كان يمثل تغيراً في المسار العلمي للطلاب أنفسهم. ورغم أن مناهج الدراسات العليا في الجامعات البريطانية تعد حديثة النشأة إذا ما قورنت بما كان عليه الأمر في الجامعات الأوروبية والأميركية، إلا أنها سرعان ما شبت عن الطوق وصارت تتسم بالنضج والحركة الدائبة. وتشمل هذه المناهج كل ما يفترض في الطالب الطموح أن يقوم به من أعمال في دراسته، كما تعتبر السلم الذي لا بد لطالب الدراسات العليا المبتدىء من أن يتسلقه. وقلما يلاحظ هذا الطالب

أن كثيراً من الأساتذة الجامعيين لم يرتقوا هذا السلم على الإطلاق، إذ التحق بعضهم في سلك التدريس الجامعي بعد وقت قصير من حصولهم على درجة البكالوريوس، أما البعض الآخر فربما أسهم مبكراً في ميدان النشر العلمي على حين كان يعاني من العوز والفاقة، أو يتولى أمر وظيفة تتيح له شيئاً من الوقت الذي يقضيه في أعمال البحث. وقد أخذت مثل هذه الحالات في التلاشي، ولكن وجودها ما زال أكثر مما يتصوره الطالب. وإذا كان إنشاء كليات للدراسات العليا مفيداً في معظم الأحيان، فإن من المؤسف أن هذه الكليات قد أضفت على البحث العلمي طابع الاحتراف، وقللت من قيمة ذلك الباحث الفردي المستقل بحيث أصبح من المستحيل أن يتصور المرء ما سيؤول إليه شأن مثل هذا الباحث في المستقبل.

ومما يجدر بالإشارة في هذا الصدد أن كثيراً من الأبحاث الأدبية التي يجد المرء نفسه مديناً لها بالفضل لم يؤلفها من تخرجوا في الدراسات العليا، ولكن ألفها باحثون فرديون لم يكونوا يفكرون في الترقية الجامعية، وكتبها ــ في أوقات الفراغ ــ دارسون كانوا يكدحون في طلب الرزق. ويحسن بالطالب ألا يشعر بأن مثل هذه الأعمال أقل منزلة من العيش في وسط مدرسة من مدارس

الدراسات العليا. إذ أنه ليس من الضروري ـــ أثناء إعداد البحث ـــ ألا يشغل الباحث عن بحثه شاغل. فكما قال كولريدج: «إذا ما تجاوزت الدوافع والحوافز حد القصد انعكست طبيعتها، فبدلاً من أن تدفع إلى الحيوية والنشاط فإنها تصيب الذهن بالتبلد والذهول». وليس التفرغ التام للبحث أمراً مستحباً، إذ ربما أدت سيطرته الخانقة على ذهن الباحث الناشىء إلى «التبلد والذهول». ولكن إذا ما استطاع الباحث الطموح أن يحدد مهمته بطريقة عملية، وأن ينجزها بكفاءة، فإن مثل هذه السيطرة قد تصبح ذات نفع كبير. ومهما يكن الأمر فإن لدى طالب الدراسات العليا متسعاً من الوقت يمكنه من أن يجمع بين العمل الوظيفي والنشاط الفكري. ولا شك في أن اكتمال العمل العلمي وإنجازه إنما ينمي في الطالب ثقته بنفسه، ولكن التأخير قد يؤثر تأثيراً عكسياً حيث يحطم الثقة بالنفس في مرحلة مبكرة، فيتوهم الطالب غير المجرب بأنه يفتقر إلى الموهبة في ميدان البحث العقلي.

وإذا كانت درجة الدكتوراه ليست إلا واحـدة من الشهادات التي تؤهل للعمل الجامعي، فإن هناك الآن أكثر من طريق للحصول على الدكتوراه. فدرجة دكتور في

الآداب إنما تمنح في العادة لكبار الباحثين الذين نالوا شهرة عالمية تعتمد على إسهامهم في ميدان النشر العلمي. وبالإضافة إلى ذلك فإن جامعة كمبردج قد أنشأت في عام ١٩٦٦ درجة دكتور في الفلسفة تمنحها لخريجيها من حملة البكالوريوس إذا كان لهم «إسهام علمي هام» في ميدان النشر العلمي. وتوجد في بعض الجامعات أنظمة مشابهة، كما أن عدداً آخر من الجامعات قد تمنح في القريب فرصاً مماثلة. ولذلك فإنه ليس من الضروري أبداً أن يشعر المرء بأن حرمانه من دراسة الدكتوراه يعني حرمانه من الحياة العلمية ذاتها. بل إنه أصبح الآن لا يعني حرمانه من درجة الدكتوراه. إن حياة الطلب في الدراسات العليا تتيح في بعض الأحيان فرصاً ممتازة يفيد منها أولئك الأفراد النابغون الذين رزقوا قدرة فائقة تمكنهم من قوة التحمل وترويض النفس. وليست هذه الحياة سوى فرصة من الفرص، ولكنها ليست مطلباً دراسياً أساسياً، إذ لا يحتاج من يريد أن يقوم ببحث أدبي إلى أن يستأذن في ذلك جامعة من الجامعات. ورغم ما يبدو أحياناً لطالب الدراسات العليا الجديد من أن الجامعة هي الخزانة الوحيدة للحكمة الإنسانية، إلا أن الجامعات لا تسعى إلى أن تحتكر طرق المعرفة البشرية.

وفي النهاية فإن هناك سبباً رئيسـاً وحيداً لكتابة الأطروحة أو الرسالة الجامعية، ألا وهو الأمل في أن يكتب المرء أطروحة جيدة.

□ □ □

موضوع الأطروحة

تقبل بعض الكليات والأقسام الجامعية طلاب الدراسات العليا في الغالب اعتماداً على المؤهل الشخصي، وتؤجل في البدء تحديد موضوع الأطروحة. أما بعض الكليات الأخرى ومنها كلية اللغة الإنجليزية في جامعة كمبردج فإنها تلزم من يتقدم للدراسات العليا فيها بأن يكتب مقالة عن بحثه المقترح، وذلك لتكون دليلاً على لياقته الشخصية. إنها جزء من إجراءات القبول، ولكنها لا تعني أن الموضوع المقترح غير قابل للتحوير والتغيير. وتعتبر هذه المقالة فرصة طيبة لمعرفة قدرة الطالب المتقدم في إجراء النقاش، كما أنها تساعد لجنة القبول في أن تقدر مدى صلاحية جامعتها لرعاية مثل هذا البحث من حيث وجود المشرف وتوافر الإمكانات المكتبية. وقد يكون من فوائد هذا النظام أنه يجعل بعض المتطلعين للدراسات العليا يتأنون قبل تقديم طلب الالتحاق، فالانتقال

المفاجىء من دراسة البكالوريوس إلى الدراسات العليا ليس دائمًا بالأمر الهين. وإن قراراً سيؤدي إلى التفرغ الكامل للدراسة مدة عام أو عامين أو ثلاثة أعوام، وإلى الالتزام بكتابة البحث، إنما يحتاج إلى أن يكون قراراً عميقاً مستقراً. فاقتراح البحث يجب ألا يكون رأياً مبنياً على مزاج طارىء أو رغبة مؤقتة.

وربما كانت طريقة اختيار الموضوع في حاجة إلى شيء من الإيضاح. إن من الخطأ أن يطلب الدارس من عالم خبير أن يختار له موضوعاً للبحث، فقد اعتاد كثير من الأساتذة الجامعيين ألا يجيبوا ـ من حيث المبدأ ـ عن مثل هذا السؤال المطلق الواسع، وذلك بالرغم من استعدادهم لأن يبدوا النصح في الاقتراحات المحددة. ومن الواضح أنهم يدركون بأن من يقدم على البحث ولا عدة له إلا ما يمده به الآخرون من اقتراحات سيكون من غير المتوقع له أن يثابر حتى يصل إلى نهاية ناجحة. ويختلف الأمر في بعض البلدان الأوروبية الأخرى، إذ أن طلاب الدراسات العليا قد يوجهون إلى أن يقبلوا ما يقترحه بعض الأساتذة من موضوعات. ولكن الجامعات البريطانية لا تتبع مثل هذه الطريقة.

وقد لاحظ كثير من أساتذة الجامعات بأن هناك صنفين من طلبات الالتحاق بالدراسات العليا. ففي النوع الأول ـ وهو الأكثر عدداً والأقل امتيازاً ـ يكون الطلب صادراً عن ميل عام لمواصلة الحياة الدراسية، ويكون اقتراح البحث ـ الذي يصاغ عادة بأسلوب حماسي مصطنع ـ عبارة عن أمر مختلق قصد به الطالب إخفاء هذا الدافع. أما الصنف الثاني ـ وهو النوع النادر الذي أعدت مناهج الدراسات العليا في الجامعات للترحيب به وخدمته ـ فيكون طلب الالتحاق فيه صادراً عن طموح أصيل في أن يجيب الطالب عن سؤال مهم في تاريخ الأدب لم تجب عليه المؤلفات المنشورة بعد، أو في أن يصحح خطأ ما، سواء كان هذا الخطأ إهمالاً متعمداً، أو توكيداً غير صحيح أو عبارة عن سوء فهم. هذه هي طلبات الالتحاق الحقيقية التي غالباً ما يقدمها طلاب علم ناشئون لا يلبثون إن لم يجدوا مكاناً في الجامعة أن يستقروا قرب مكتبة من المكتبات الكبرى ويواصلوا البحث في أوقات الفراغ. وتتوق الجامعات إلى أن ترعى مثل هؤلاء الطلاب وتساعدهم، ولكن المسؤولين عن القبول يزدادون شعوراً بأن معظم طلبات الالتحاق التي تقدم للدراسات العليا في الجامعات ليست من هذا الصنف الأخير.

وربما كان طلب الالتحاق من النوع الحقيقي ولكن الطالب قد يقع ـ عن غير قصد ـ في شيء من سوء الفهم، وذلك كما في الحالات التالية:

١ ـ فقد يعتقد الطالب بدافع من التواضع أن ما اكتشفه ليس سوى شيء ضئيل لا يعتد به، وقد يرى كذلك بأن من المسلم به أن كل الأسئلة المهمة قد حلت وأجيب عنها. وغالباً ما يصاب المبتدىء بالدهشة البالغة إزاء أعداد الكتب والمقالات التي لم يقرأها، أو يحس بالحزن الشديد لتفاهة بعض ما قرأ. وربما سارع إلى تكوين الرأي بأن تفاهة بعض المؤلفات دليل على أن الموضوع قد أشبع بحثاً. ورغم أنه قد يكون من الصعب إقناع هذا الطالب بالعدول عن رأيه، إلا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في أنا لا نملك القدرة على التنبـؤ بالمعلومات. وإنه لمن المؤسف حقاً أن يدفع التواضع أو الاعتقاد الخاطىء بـطالب الدراسات العليا إلى أن يتعامى عما للبحث الذي يقترحه من أهمية قصوى.

٢ ـ وعلى العكس من ذلك فإن الطالب قد يبالغ في تقدير قيمة ما اقترح أن يبحثه. ومن الغريب في

الأمر أن هذا قد يصدر بسهولة عن الشعور بالتواضع أو عدم الاقتناع بالموضوع، فالطالب الذي يسيطر عليه الاعتقاد الخاطىء بأن كل الموضوعات الجيدة قد بحثت من قبل، قد يشعر بسبب ذلك بأنه قد قضي عليه أن يختار موضوعاً تافهاً، وأن يجهد في إطرائه إطراء شديداً.

٣ ـ وربما أصر الطالب على اختيار موضوع شديد الصلة بمذهبه الفكري أو ميله العاطفي. وهذا هو أخطر ما يمكن أن تتعرض له الدراسات الأدبية بصفة خاصة. وكثيراً ما يقال بأن دراسة الأدب تؤثر في حياة الطالب العاطفية تأثيراً لا نظير له في المجال العلمي، ولكن قلما يلاحظ بأن هذا التأثير قد يكون خطراً على البحث الذي أخذ الطالب على عاتقه إنجازه، وكذلك الأمر في فرصة الطالب في أن يعد نفسه إعداداً علمياً، فمعظم مشاريع الأبحاث التي تعثرت ولم تكتمل هي من هذا النوع. ويشبه مشروع الدكتوراه الناجح كل أنواع النشاط الإنساني من حيث الحاجة إلى طريقة محددة سليمة، كما يحتاج الطالب إلى أن يشعر نفسه بأن خططه تسير قدماً، وذلك حتى لو لم يكن في حالة نفسية تمكنه من

الانصراف التام لبحثه. فالموضوع الـذي يجعل صاحبه يعيش دائمًا في الأعالي إنما هو موضوع محكوم عليه بالفشل. وكذلك الأمر إذا ما اعتمد الموضوع على موجة فكرية سائدة من بين تلك الموجات العابرة التي تتلاشى قبل إتمام البحث.

ومن الأخطاء الأساسيـة الشائعـة في مقترحـات الأبحاث الأدبية التي يقدمها طلاب الدراسات العليا ذلك الغموض الذي لا ينتهي عنـد حد، وتلك السـطحية الفكرية. وقد يستغرق الأمر وقتاً طويلاً وتفكيراً جاداً لكي يوفق طالب الدكتوراه إلى أن يقدم لموضوعه اقتراحاً مناسباً معتدلاً، ليس غامضاً شديد الغموض، أو مثالياً موغلاً في التجريد، كما أنه ليس انسياقاً وراء فكرة عصرية سائدة فيثير بذلك الشك عند العالم الخبـير، وليس سطحيـاً فيستدعي احتقاره. إن الوصول إلى الحل الوسط المنشود ليس بالأمر الهين ولكن من المؤكد أن السطحية أعظم الخطأين السابقين، ذلك أنها لا تقبل التصحيح والتعديل بسهولة عندما تتقدم خطوات البحث. إن الطالب الذي يشق على نفسه في اختيار موضوع مفرط في الطموح قد يقصر معالجة الموضوع على جوانب أساسية معينة، وهذا أمر مستحسن مشروع شريطة أن يوضح الطالب ما يريد

أن يعمله. ولكن الموضوع السطحي التافه لا يمكن الطالب من أن ينفخ فيه روح الجد دون أن يفقد البحث عنصر الأمانة.

ولمقدمة الأطروحة ـ التي تكتب عادة آخر كل شيء ـ غرضان: الأول شكر من ساعدوا الباحث في عمله، والثاني أن يصف الباحث ـ بشيء من التفصيل الذي لا تتسع له صفحة العنوان ـ المدى الذي حدده للبحث، والأسباب التي جعلته يهتم ببعض الجوانب اهتماماً خاصاً ويهمل الجوانب الأخرى. وقد يصعب على المؤلف في هذا المقام أن يبين كل شيء تبياناً دقيقاً، ولكن من الخطأ أن يفترض بأن ما هو واضح عنده سيكون كذلك واضحاً عند القارىء أو الممتحن. فمثلاً إذا كانت الأطروحة التي تناقش «فكرة شكسبير في الملكية» تعالج مسرحياته المأسوية أكثر مما تعالج مسرحياته التاريخية فإن هذا سيبدو أمراً غريباً لا مبرر له ما لم يبين الباحث منذ البداية بأنه نهج هذا النهج لاعتبارات خاصة، وهي أن المسرحيات التاريخية ـ على سبيل المثال ـ قد درست من هذه الناحية دراسة وافية، أما المسرحيات المأسوية فلم تدرس بعد. وإذا كانت الأطروحة عن «النقد عند ماثيو آرنولد وعلاقاته المعاصرة» ثم استعرضت الروابط التي تمتد

من كولريدج حتى ت. س. إليوت فإن من الواجب على الباحث أن يوضح في مرحلة مبكرة بأن كلمة «المعاصرة» قد استعملت هنا في معنى غير مألوف. وحينما يكون أمر الموضوع أكثر تعقيداً من هذا فإن من أبرز مهمات الفصل الأول أن يبين أهداف الأطروحة وأبعادها، وأن يبرر معالجة بعض عناصر الموضوع دون العناصر الأخرى. وفي معظم الأحوال تكون الإشارة البسيطة الواضحة التي ترد في المقدمة كافية لتجلية الأمر.

إن تغيير اتجاه البحث أمر شائع في كل شكل من أشكال التأليف، وليس ذلك من الأشياء التي تدعو إلى الأسى والقلق. إذ أن من المألوف أن يكتشف الباحث بعد مضي عدة أشهر من العمل بأن بعض جوانب الموضوع الذي اختاره أحفل بالفرص الواعدة مما كان يظن في بداية الأمر، وأن الجوانب الأخرى أقل منها خصباً وإشراقاً. وفي الغالب أن مثل هذا التغيير ليس سوى تحويل لمجرى التركيز في البحث، وقد لا يحتاج الأمر إلى إذن خاص، ولكنه يعتبر سبباً وجيهاً في ألا يختار الباحث لموضوعه عنواناً موغلاً في التحديد. وسيقوم المشرف أو المرشد بإبداء الرأي في هذا التغيير، وإذا ما استحسنه ورأى أنه أدعى للأمل من الاقتراح الأصلي، فإنه سيوجه الطالب للحصول على

إذن رسمي إذا كان التغيير جذرياً. أما ما يحدث أحياناً من تغيير كامل للموضوع عندما تظهر بعض المواد العلمية بطريقة مفاجئة غير متوقعة فإن هذا يحتاج بدون شك إلى إذن رسمي.

وفي الحقيقة أن الأنظمة الجامعية الخاصة بموضوعات البحث أقل صرامة ـ في بعض الأحيان ـ مما يتخيل كثير من الناس. فجامعة كمبردج ـ على سبيل المثال ـ تطلب من الطالب في الدراسات العليا «أن يكتب باللغة الإنجليزية أطروحة يضمنها نتائج بحثه». ويوجد لدى بعض الكليات في هذه الجامعة استعداد لتفسير هذا الشرط تفسيراً مرناً، إذ تقبل ـ من حيث المبدأ ـ الاقتراح بأن يخير الطالب بين أن يكتب مجموعة من المقالات أو يقدم رسالة مفردة. ولم يسُد نظام الأطروحة المفردة بسبب أن للجامعات أغراضاً محددة في هذا الشأن، ولكن هذا قد نشأ في الغالب بسبب طموح الطالب في أن يسهم إسهاماً علمياً يجعله خلال بضع سنوات حجة في ميدان من ميادين المعرفة. وإنه لمن الصعوبة البالغة أن يصبح الطالب حجة في موضوع من الموضوعات خلال سنتين أو ثلاث، أما أن يتوقع الطالب المبتدىء أن يصبح خبيراً في عدد من الموضوعات فإن هذا قد يبدو أمراً محفوفاً بالمخاطر

والتحديات. ولذلك فإنه ليس على الجامعات ـ التي تسمح بكتابة مجموعة من المقالات بدلاً من الأطروحة ـ أن تخشى كثيراً من تزاحم الطلاب المتقدمين أو من الهبوط في المستوى العلمي.

□ □ □

مجالات علمية مهملة

تعد بعض الموضوعات البارزة موضوعات غير واعدة في مجال البحث، وذلك لأنها غالباً ما تكون قد أشبعت بحثاً. ومن أمثال هذه الموضوعات: حقيقة هاملت، والفن المسرحي عند راسين، والحس الأخلاقي عند جورج إليوت. وتعتبر الموضوعات السائدة الرائجة كذلك موضوعات غير واعدة لأنها سرعان ما تتكاثر حولها الدراسات والأبحاث. ولذا فإن من المفيد أن يتخلص الطالب من إغراء الظاهرة الأدبية الرائجة وأن يفكر في أفضل الطرق لتجنب أخطارها.

ومن الظواهر التاريخية البارزة أن لكل عصر روحه النقدي الذي ينظر من خلاله إلى الأدب الذي أنتج في فترة تاريخية معينة نظرة تقدير وإعجاب. وبما أن العالم الناطق بالإنكليزية كان في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن معادياً للروح الفيكتوري فقد نظر بعين التقدير إلى عصر

الكلاسيكية الجديدة. وفي الخمسينات والستينات من هذا القرن تحول الإعجاب تحولاً كبيـراً نحو الفيكتـوريين ولا سيما ما أنتجوه في ميدان القصة والنقد الاجتماعي. أما الفترات الأخرى كفترة عودة الملكية (١٦٦٠ ـ ١٦٨٥) وفترة أواخر القرن الثامن عشر فلم تكن أبداً من بين العهود التي حظيت بالرواج في الوسط الجامعي، ولهذا يسود الشعور بـإحسان الظن في الذين يختارون دراسة مثل هذه الموضوعات. وكما أنه يجب على المرء ألا يختار الموضوع اعتماداً على ميله إلى اتباع فكرة رائجة أو على محاولته في تجنبها، فإن من الواجب عليه كذلك أن يـدرك بأن الاهتمامات السائدة الرائجة معرضة بـطبعها للهجـوم والانتقاد، فهي أقل من غيرها قدرة على جعل اقتراح البحث مؤثراً، وهي كذلك أقل من غيرها في القدرة على إضفاء سمة الأصالة على البحث. إنها مليئة بـالمزالق والمخاطر، وربما كان من الصعب على طالب الدراسات العليا ـ ولا سيما الشاب ـ أن يتخلص تماماً من روح العصر، ولكن عليه في الأقل أن ينتبه إلى الخطر، وأن يدرك بأن كثيراً مما يظنه الآن شيئاً مهمًا إنما يرجع إلى تأثره بالقسم الذي درس فيه، أو إلى تأثره بأستاذ من أساتذته أو بنفر من معاصريه من الطلاب. وليس عيباً أن يهتم

الطالب بالجو الفكري السائد، وأن يشارك في مناقشة تياراته الفكرية، ولكن يحسن به أن يتذكر بأن مثل هذه التيارات تجري بسرعة، بينما يجب أن يحتفظ البحث بشيء من قيمته مدة لا تحسب بالأسابيع أو الشهور. ويحسن بالطالب كذلك أن يدع موضوعه المقترح جانباً في لحظة من اللحظات، فهذا يتيح له أن يرى ما فيه من عناصر الضعف وعوامل القوة، وهو يمكنه من ألا يسأل نفسه عن الجوانب التي تروق له كثيراً في تلك اللحظة فحسب، بل يسأل كذلك عن النواحي التي تبدو في حاجة شديدة إلى الكشف والتنقيب.

ومن فضائل التدريب الذي يتلقاه الطالب في مرحلة البكالوريوس أن الطالب قد يجد نفسه حين يلتحق بالدراسات العليا في موقف يمكنه من الإجابة على مثل هذا السؤال بعد قليل من التأمل والتفكير. فربما كان قد سمع أحد المختصين يتذمر من نقص في جانب من جوانب المعرفة فيقول: «إن مما يدعو للأسف أنه لم يكتب أبداً كتاب جيد عن. . .» أو يقول: «إن من سوء الحظ أن هذا النص لم يحقق أبداً تحقيقاً دقيقاً». ولا يعني حصول الطالب على القبول في الدراسات العليا أن يختار لبحثه أي موضوع يمكنه من سد الفراغ واجتياز الامتحان، فهناك عدد كبير

من الموضوعات التي تركها الباحثون لأنهم أدركوا أنها غير جديرة بالدرس. ورغم هذا فإذا ما وجدت الرغبة الصادقة في الطالب، وتوافرت لديه المقدرة فقد يكون الشعور بإهمال الماضي عاملاً قوياً في توجيهه نحو القيام بدراسة علمية جيدة. ومن السهل على الباحث في بعض المجالات أن يسهم فيها إسهاماً أصيلاً، فباستطاعة كل باحث مثلاً أن ينال رضا العلماء والطلاب إذا ما قدم دراسة نقدية ذكية تبعث على استمرار الاهتمام بالأدب الإنجليزي في الفترة المتوسطة الممتدة من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر على أن تكون بعيدة عن تلك المجالات المألوفة مثل تشوسر ولانجلاند ومالوري وذلك الشاعر الذي نظم أسطورة قوين، أو إذا كشف الباحث ما بين القرن الخامس عشر والتاريخ الفكري في العهد التيودري من صلات، أو ما بين الشعراء الميتافيزيقيين وعصر درايدن من روابط. وسينال كذلك مثل هذا الرضا الطالب الذي يبحث في عصر الكلاسيكية الجديدة حين يضيف إلى بحثه بعداً مقارناً فيستعرض بعض جوانب هذه الفترة في ضوء علاقتها بحركة التنوير الفلسفي في أوروبا أو في ضوء علاقتها بالمعلومات التاريخية الجديدة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ الاجتماعي لهذا العصر. وتعاني بعض

الموضوعات من الاستنزاف والإفراط في إخضاعها للبحث، وذلك مثل معظم النقاش الذي دار حول الاتجاهات الاجتماعية والأخلاقية في الرواية الفرنسية والإنجليزية في القرن التاسع عشر، وكذلك بعض المحاولات في دراسة هذا العصر من حيث لغة الرواية فيه والعلاقة بين أدبه السياسي وتاريخه السياسي. ورغم ذلك فإنه يكمن أحياناً في هذه الموضوعات من الفرص والإمكانات ما يؤدي إلى اكتشافات جديدة أصيلة.

وربما احتاج الباحث المبتدىء إلى من يقنعه بأن الاهتمام بالحالة الحاضرة للمعرفة أولى من الاهتمام بتصوراته، وذلك لأنه قد لا يدرك جيداً أن اهتماماته ليست في الغالب سوى انعكاس لما كان عليه الموضوع في حالة من حالات التحول والتطور التي حدثت حينما كان يتلقى تدريبه إبان الطلب. ولعل من السهل أن يتسلط على الذهن إحساس خادع بالاكتشاف إزاء المؤلف الرائج ولا سيما من كان يستحق الشيوع والرواج. وقد يحتاج المرء إلى قدر غير عادي من الأمانة لكي يعترف أو يدرك أنه لم يقرأ لهذا المؤلف ــ في المقام الأول ــ إلا لأن بعضاً ممن يعرفهم قد كرر اسمه على مسامعه. ومن الطبيعي أن يكون حب الاستطلاع دافعاً للذهن إلى معرفة حقيقية ما تدل

عليه تلك الشهرة والسمعة. ومهما تكن قيمة مثل هذا الدافع باعتباره السبب في القراءة لمؤلف ما، فإنه لا علاقة له بأهداف البحث الأدبي، فحين يقرأ المرء ليعرف ما علمه الآخرون من قبل فإنه يظل طوال حياته طالب علم، ولكن طالب الدراسات العليا الحق إنما يقرأ لسبب آخر، ذلك هو الأمل في أن يكتشف ما لم يعلمه غيره من قبل.

□ □ □

استخدام التفكير في طرح الموضوع

إن البحث في موضوع من الموضوعات لا يعني دراسته فحسب، ولكنه يتجاوز ذلك إلى أن يسأل الباحث أسئلة لم تسأل من قبل، ثم يقوم بالإجابة عنها إجابة لم ترد من قبل. وهذا هو جوهر الاختلاف بين طالب البكالوريوس وطالب الدراسات العليا. إن طالب العلم يستمر في الدرس حتى آخر يوم من أيام حياته، ولذلك فقد يدرس طالب الدراسات العليا وقد يفعل الأستاذ مثل فعله، ولكن هناك شيئاً آخر يميز البحث، ذلك هو قدرة الباحث على أن يرى بأن هناك سؤالاً قد بقي بدون جواب، ثم القدرة بعد ذلك ـ بفضل الدأب والمثابرة ـ على أن يفتش حتى يجد هذا الجواب.

ومن المؤسف حقاً أن بعض طلاب الدراسات العليا لا يدركون هذه الحقيقة في مرحلة مبكرة إدراكاً كاملاً يجنبهم الخيبة في الآمال، فقد يكون لهم اهتمام قوي

بالأدب ورغبة في الاستمرار بدراسته، وحينئذ يصبح موضوع الأطروحة ذريعة للاستمرار في حياة الطلب، ووسيلة للاستزادة من الدرس. وليس بمستغرب أن يؤول مشروع البحث الذي لا يبنى على شعور قوي بالمسؤولية إلى التلاشي، وإلى أن يكون نصيب الباحث منه الإحساس بعدم الرضا عن النفس. وما لم تكن حياة الخداع شيئاً مألوفاً في طباع المرء، فإن محاولته في تقمص شخصية غير شخصيته أثناء القيام بنشاط ما تؤدي إلى حالة ذهنية تتسم بالجدب وعدم الاستقرار. وقد يعترض الباحث المبتدىء قائلاً إن نموه الفكري لم يصل بعد إلى ذلك المستوى الذي يجعله قادراً على أن يصوغ سؤالاً في عبارات محددة، ثم ينطلق ليكتشف له جواباً يصمد أمام فحص العلماء المختصين، وإذا كان في هذا القول نصيب من الصحة، فإن من الأفضل للمرء أن يقف قليلاً، وأن يتأنى قبل أن يلزم نفسه بجهد لا طائل من ورائه.

وليس من السهل على الطالب في بدء حياته العلمية أن يفهم كيفية تكوين السؤال، كما أن كثيراً من الطلاب قلما يدركون أن معظم الأشياء التي تعتبر الآن حقائق أولية في تاريخ الأدب قد اكتشفها علماء كان لهم من المقدرة والجرأة ما جعلهم يجيبون عن أسئلة لم يملك أحد من قبل

الجرأة الكافية لكي يتعرض لها. ولهذا تعد الجرأة من أولى الفضائل في العالم الباحث. ورغم أن عنصر المصادفة المحضة في البحث أمر حيوي في بعض الأحيان، إلا أن المرء قد يبالغ في تقدير أثره في قضايا الفكر. فغالباً ما يفترض بأن المصادفة هي الدافع الطبيعي للبحث الأدبي، وذلك كما إذا كان للمصادفة دخل في ملاحظة يلحظها الباحث، أو اكتشاف مخبأ للأوراق، أو العثور على مادة علمية في مكتبة أو محل صغير لبيع الكتب. ويميل كثير من العلماء ـ بدافع من التواضع ـ إلى أن يتحدثوا عن مجرى حياتهم العلمية بهذا الأسلوب، ولكن هناك أناساً آخرين يسمعون الملاحظات المصادفة، أو يعثرون بطريق الصدفة على كتب ومخطوطات، ولكنهم يفشلون في معرفة أهمية ما يسمعون أو يرون. وقد قال أحد العلماء الفرنسيين: «إن الحظ لا يصطفي في ميدان الملاحظة العلمية إلا ذلك الذهن الذي أُعِدَّ أحسن إعداد». وربما تساعد الملاحظات التالية في تبيان ماهية السؤال في التاريخ الأدبي، وتوضيح أحسن الطرق لمعرفته:

١ ـ ليس السؤال بياناً تقريرياً، وليس الغرض من البحث الأدبي أن يذكر الباحث القارىء بما يعرفه من قبل كما هو الحال غالباً في الفلسفة الأخلاقية،

وإذا أتى شيء ما على هذه الصورة فإنه ليس بسؤال. فمن المعروف ــ على سبيل المثال ــ أن روايات توماس هاردي قد نقدت على نطاق واسع في إنجلترا وأميركا، ولهذا فإن عبارة «استقبال النقد لروايات هاردي» قد تصلح لأن تكون عنواناً لأطروحة، ولكنها ليست سؤالاً. ورغم هذا فإن هناك عدداً من الأسئلة التي قد تنشأ من هذا الموضوع، وذلك مثل: هل كان هاردي يولي هذا النقد اهتماماً كبيراً؟ وهل ظهر الدليل على هذا الاهتمام في الروايات نفسها؟ وإذا كان الأمر كذلك فما أثر هذا الاهتمام في رواياته؟ وإذا كان قد حدث تفاوت في التأثير فكيف كان هذا في كل مرحلة من مراحل حياته القصصية؟ وقد عرف عن درايدن كاتب المسرحية أنه تأثر بأفكار هوبز، أو عرف في الأقل بأن أوبري قد اعتقد ذلك. وكن هل كان لدى أوبري سبب قوي لأن يقول هذا القول؟ وهل يمكن أن يفسر أي فارق جوهري بين المسرحية في عهد عودة الملكية والمسرحية في عصر النهضة على أساس ما أصاب الفكر الفلسفي والسياسي من تحول بعد العهد الاستبدادي؟ ومن المعلوم أن

ت. س. إليوت قد نقح قصيدته الطويلة «الأرض اليباب» بطريقة جذرية، ومن المفيد أن تدرس طبيعة هذا التنقيح، ولكن البحث يقتضي شيئاً أبعد من هذا، ألا وهو السؤال عن الدوافع المحتملة وراء تنقيح إليوت، وكيف يمكن تقديرها من خلال أمثلة معينة تعرضت للحذف والتغيير؟ وما صلة هذه الدوافع بالمذهب الأدبي لإليوت ومذاهب من كان على صلة وثيقة بهم في ذلك الوقت؟. إن الاهتمام الأكيد بجانب من جوانب الموضوع ليس سوى البداية، بل ربما كان من الأفضل أن يوصف بأنه المرحلة التي تسبق البداية، أما الانطلاق الحقيقي للبحث فإنه يبدأ بعلامة استفهام.

٢ ـ كثيراً ما تواجه الأقوال الفرضية التي تلقى بسهولة بالشك والتساؤل. وقد يتعلم الطالب كيف يدرك أن بعض الافتراضات عرضة للنقد، ولكنه سيجد نفسه دائماً محاطاً بنماذج من مثل هذه الافتراضات. وغالباً ما تنطلق أشد المناقشات الفكرية حدة وحيوية من مقدمة فرضية واحدة مشتركة بين الطرفين. ولكن لعل من المفيد أن تسأل وما دليل المقدمة الفرضية نفسها؟ وما السبب في أن يظن بأن قصائد

شكسبير الغنائية لها صلة بسيرة حياته، أو أنها تحوي في الحقيقة شيئاً من السمات التاريخية؟ كما أن من المفيد أن تسأل عما إذا كان أي كاتب بارز من كتاب عصر العقل قد اعتقد بسيادة العقل وتفوقه بالطريقة التي توحي بها التسمية؟ أو عما إذا كان أي مفكر فيكتوري بارز قد آمن بالحرية الاقتصادية؟ أو هل تقدم الرواية الاجتماعية الإنجليزية أسباباً كافية للاعتقاد بأن حرب الطبقات قد وجدت في أي وقت من الأوقات؟ وتصاب كثير من الأطروحات بالفشل في استجواب ما هو بحاجة شديدة إلى الاستجواب. وإذا كانت بعض المصطلحات قد استخدمت استخداماً واسعاً. ولقيت قبولاً كبيراً، فليس ذلك بمبرر لأن نقبلها الآن دونما سؤال أو اعتراض. فمن الطبيعي أن تعبيراً مثل «أخلاق ديفو البورجوازية» قد يثير الأسئلة التالية عند الممتحن النبيه: ما الدليل على أن البورجوازية قد وجدت في إنجلترا في أوائل القرن الثامن عشر؟ أوما الدليل على أنه كان لها أي نوع من أنواع الأخلاق المتميزة؟ وما الدليل على أن هذا النوع الأخلاقي يشبه أخلاق ديفو؟ وربما أصبحت مثل

هذه الأسئلة تحدياً كبيراً للأطروحة في آخر معقل من معاقلها. ومن جهة أخرى فإن الطالب الذي يبدأ نقاشه باستعراض أسئلة كهذه قد يحصل في النهاية على أطروحة تتوافر فيها عناصر الجدة والأصالة.

٣ ــ إن قوة المنطق قد تخضع الافتراضات للتساؤل، وقد تضعفها أو تقلبها رأساً على عقب. ولكن مثل هذا المنطق يحتاج دائماً في أمور التاريخ الأدبي إلى أن يؤيد بالدليل، وأن يدعم بقدر معقول من التوثيق. وهناك افتراضات مألوفة معينة لا يمكن أن تكون صحيحة، أو إن من المستبعد جداً أن تكون صحيحة. ومن الممكن في مثل هذه المسائل أن يصل المرء إلى ما يشبه اليقين قبل أن يقوم من مقامه. ويقضي كثير من طلاب الدراسات العليا معظم وقتهم في حشد الأدلة آملين أن ينشأ سؤال في هذه الأثناء. ومن المؤكد أنه لا بد للأدلة من أن تجمع في مرحلة من المراحل، ولكن من الملاحظ كذلك أن بعض الحقائق إنما تنبثق من حقائق أخرى بشكل منطقي، وأن من الممكن في بعض الأحيان أن يرى هذا التسلسل المنطقي قبل البحث عن

الدليل. فالصيغة البسيطة: «إذا تهجي الحرف ل فإن الحرف م هو الذي يتلوه» إنما تمثل مراحل هامة معينة في التاريخ الأدبي وفي المجالات الفكرية الأخرى. وإذا كان صحيحاً أن الحركة العلمية الجديدة في القرن السادس عشر كانت معادية للفنون الإبداعية، فإنه سيترتب على ذلك وجود نتائج معينة تتعلق بما كتبه الأدباء الإنسانيون من مسرحيات وأشعار، أما إذا لم تأت هذه النتائج تبعاً لذلك فإن المقدمة المنطقية نفسها تكون مجالاً قوياً للشك. وإذا كانت إنجلترا في القرن السابع عشر قد فضلت في الواقع بن جونسون على شكسبير في كتابة المسرحية، فإن هذا يستدعي وجود نتائج مهمة تتصل بحالة الفكر النقدي في ذلك العصر، وإذا لم يكن الأمر كذلك فإن الدليل على أن بن جونسون كان الكاتب المسرحي المفضل سيكون عرضة للتساؤل والارتياب. ومن النادر أن يكون الانتقال من الحرف «ل» إلى الحرف «م» أمراً حاسمًا في حد ذاته إزاء سؤال أدبي، ولكن من الأمارات المؤكدة لموهبة الطالب أن يكون لديه استعداد لأن يناقش القضايا بهذه الصفة. إن هذا دليل قوي على المرونة

الذهنية، وعدم الخضوع لسلطان الأفكار الشائعة المتناقلة.

٤ ـ إن السؤال في البحث الأدبـي يهدف إلى أن يحصل على جواب لنفسه. ومما يجدر ذكره أنه يجب أن تصاغ الأطروحة كلها بل حتى فصولها المستقلة بطريقة تجعل الصلة بين البداية والنهـاية جليـة واضحة. فالفصل الذي يبدأ بسؤال معين ثم ينتهي بالإجابة عن سؤال آخر، إنما يفشل في أن يكون بحثاً مقنعاً حتى ولو كان هذا الجواب سديداً. ومن مظاهر الإغراء الشديد في مجال التأليف أنه يسمح للمرء بأن يضع أسئلة امتحانه بنفسه قبل أن يحاول الإجابة عنها. ولكن مما لا غنى عن قوله هو أن هذه الإجابة تحتاج إلى أن تكون متفقة مع ما وضع للبحث من أهداف. إذ يعتمد تماسك البناء الداخلي للأطروحة وصلابته على قدر من التلاؤم والتطابق بين ما اقترحه الباحث وما قام بعد ذلك بإنجازه.

٥ ـ ومن الممكن أن تكون الأجوبة مثيرة للدهشة حين تصبح منافية لما يعتقده المرء ويؤمن به، أو تكون ـ وهذا ما يصعب احتماله ـ إجابات تجلب السأم

والضجر. وربما كان من الصعب على المرء ألا يحجم عن العمل في مثل هذه الأحوال، ذلك لأن الإغراء سيكون شديداً في أن يراوغ ويتلاعب بالوثائق، أو يحاول تجاهل الحقائق في سبيل إمداد الموضوع بالحيوية. وهذا هو مجال الاختبار لمعرفة صدق النوايا والأهداف في البحث. فإذا كان الطالب يبحث مثلاً في ظهور الرواية الصناعية بإنجلترا في الأربعينات من القرن التاسع عشر، وإذا كان يعالج الموضوع بدافع من طموحه في أن يمجد الدور الذي قامت به الجماهير في السنوات الأولى من الثورة الصناعية، فإنه قد يجد أن إيمانه وموقفه سوف يصدمان بما سيبدو له مما كتب في هذه الفترة من روايات وكتيبات وتاريخ اجتماعي. إن الأدب لا يخبرنا دائماً بما نود سماعه، ولكن إذا أبدى الباحث استعداده في أن يتابع السؤال، فإن عليه أن يقبل النتائج وأن يعلنها حينما توجد. فليس السؤال الأصيل بسؤال بياني لا يراد به إلا التأنق والتأثير.

□ □ □

في الطريق إلى البحث

من الطبيعي أن يكون موضوع البحث نابعاً من ميل قوي تكوَّن لدى الطالب أثناء دراسته في مرحلة البكالوريوس، وذلك مثل حماسته لمؤلف معين، أو إحساسه بعدم الرضا نحو الحالة الراهنة لقضية من القضايا. ولا شك في أن التحول إلى مرحلة الدراسات العليا أكثر مشقة مما يتوقع في بعض الأحيان، ولذا يحتاج الراغبون في الدراسات العليا إلى من يحذرهم بأن هذا الانتقال غالباً ما يجعلهم يتعرضون لمصاعب في التكيف الذهني تفوق تلك التي لاقوها حين الانتقال من المدرسة الثانوية إلى الجامعة. ويجب ألا يتخذ قرار الالتحاق في الدراسات العليا بتسرع أو بدون التزام حقيقي، فالطالب الذي يتعلق بالبحث لنفوره من أن يحاول عمل أي شيء آخر سيجد أنه قد اختار لنفسه ـ في الغالب ـ مهمة لا يستطيع أداءها. وإذا كان الذكاء والرغبة العامة في الموضوع

يضمنان عادة النجاح لطالب البكالوريوس، فإنهما موهبتان ضروريتان لطالب الدراسات العليا ولكنهما لا يكفيانه، فهو يحتاج ـ بجانب هذا ـ إلى قدر من المثابرة يفوق كثيراً ذلك القدر العادي، ويحتاج كذلك إلى الموهبة في ضبط الذات وإلى ملكة التمييز في اختيار الموضوع اختياراً حصيفاً منظماً.
إن رغبة الطالب في أن يستمر في حياة الطلب، وطموحه في أن يصبح أستاذاً جامعياً لن يغنيا وحدهما عنه شيئاً خلال سنوات العمل الشاق التي تتسم عادة بالوحدة والانعزال.

ومن الأفضل للطالب أن يقدر الوضع ويتدبره في مرحلة مبكرة، فالبحث الأدبي لون من ألوان الصنعة الكتابية التي تعرض لها أدواء خاصة بها، وقد ينشأ هذا من أمر غير منطقي وذلك حين يشعر الكاتب شعوراً مستمراً بأنه يعيش في ظل نماذج أدبية ممتازة لا يستطيع مضاهاتها، أو يحس بأن باستطاعة العبارة التي كتبها أن تكون أفضل مما هي عليه. وربما تَعزَّى من يعاني من نوبات القلق أو الإحساس بالتعاسة المريرة حين يدرك أن هذا جزء من القدر العام الذي كتب على رجال الأدب أن يلاقوه. إن البحث الأدبي مهمة تقتضي الباحث أن يتصف ـ إلى جانب الموهبة ـ بالموضوعية والاتزان. وإذا كانت للبحث مباهجه المتميزة، فإن من الحكمة ألا يتحرى الباحث مجيئها

قريباً، ذلك أنها لا تأتي إلا أخيراً حين يرى عمله وقد تم إنجازه، وحسن أداؤه.

وإذ دنونا من تصميم الأطروحة وتنظيمها، فإن استكشاف مجال البحث مقدماً يصبح ضرورة عملية. فإذا اقترح الطالب ـ مثلاً ـ أحد المؤلفين البارزين موضوعاً لأطروحته، فإن هذا الاقتراح لن يكون مقنعاً إلا إذا كان مبنيّاً على دراية بما يوجد من مواد علمية تتصل بالموضوع. فإذا لم يقرأ الطالب لهذا المؤلف قراءة واسعة، وإذا لم يقرأ المؤلفات الرَئيسة والثانوية التي نشرت في الجيل الماضي أو يطلع عليها، فإن هذا سيوحي بأن نظرته إلى البحث نظرة مبتسرة، وأن عمله سيكون محفوفاً بالمخاطر. إن اقتراح البحث الذي يوضع بطريقة عمياء ليس اقتراحاً جاداً. وإذا كان المرء سيقضي سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات متفرغاً تاماً للبحث، فإن الضرورة العملية تحتم عليه أن يتحقق سلفاً مما في الأمر من مقتضيات، وهذا يتطلب أن يقدم الطالب موجزاً يبين فيه الخطوط العامة للموضوع، وذلك لكي يُنظر إلى اقتراح بحثه نظرة جادة. ومن المؤكد أن المرشد أو المشرف سيعجب بالطالب منذ اللقاء الأول حين يجد أنه قد أحاط بالخطوط العامة للموضوع، وأصبح يعرف حالته العلمية معرفة كافية

بحيث يدرك مثلاً الجوانب التي درست دراسة جيدة والجوانب الأخرى التي أهملت، ويعرف كذلك النواحي التي لا طائل من وراء بحثها والمواضع التي هي مظنة النمو والعطاء. ولكي يكون الطالب على علم بهذا فإن ذلك يعني أنه قد قرأ ـ في الأقل ـ أحدث ما ألف في الموضوع حتى لو أثبت البحث بعد هذا أنه ليس أفضل ما كتب في هذا المجال.

وتعتبر العلوم المتداخلة أو المتقاربة من أشد المواد حاجة إلى مثل هذه المتطلبات. وربما كان هناك إغراء خاص في الموضوع الذي يصل الأدب بعلم من العلوم القريبة إليه مثل التاريخ الاجتماعي والسياسي أو الموسيقى والفلسفة والرسم واللغويات، إذ يحتمل أن يحقق المرء اكتشافاً أصيلاً مذهلاً حين يستخدم نتائج فروع المعرفة الأخرى في مجال الأدب، ولكن حاجته إلى التريث والتبصر تصبح هنا أشد من حاجته إليهما في أي موقف آخر. أما إذا كان الاهتمام بالمواد المتقاربة هواية فحسب، فإن من المؤكد أن هذا لن يكون كافياً، فالطالب الذي يغامر بالخروج من الأدب إلى التاريخ الاجتماعي ـ على سبيل المثال ـ قد يجد أن من بين ممتحنيه أحد المختصين في التاريخ الاجتماعي. وليس يعني هذا أنه يجب على الطالب أن يصبح مختصاً في

التاريخ الاجتماعي، ولكن من المحقق أن معلوماته في هذا الميدان يجب ألا تكون معرفة سطحية. وحينما يغزو المرء حمى علم من العلوم الأخرى فإن الخطورة تكمن في أنه سيكون من السهل عليه أن يقبل الافتراضات القديمة المهجورة، وأن يهمل النتائج الحديثة في علم لا يجيده، فقد تكون السرعة في تطور هذه العلوم مثل السرعة في تطور الدراسات الأدبية، وإن من الحكمة أن يناقش الطالب المشكلات العلمية التي تواجهه مع أحد العلماء المختصين، فالجامعة هي المكان المثالي ـ في الغالب ـ لإجراء الأبحاث في العلوم المتقاربة، ذلك لأن لدى أعضائها من الحرية ما يجعلهم يستفيدون مما يقدم في أقسامها المختلفة من دروس. وكثيراً ما يلقى الطالب استجابة كريمة إذا ما حضر درساً أو محاضرة، أو قدم لأحد المختصين في الحقل المطلوب خطاباً رقيقاً يسأله فيه النصح أو يطلب منه اللقاء. ولكن مشورة المختص يجب أن تؤخذ في وقت مبكر، وذلك حالما يتم تحديد صياغة السؤال لكي يتفادى الطالب خيبة الأمل حين يسلك طرقاً خاطئة، أو يجد نفسه ضالاً لا يهتدي إلى سبيل.

إن من الضروري أن يتذكر المرء بأن الآداب العالمية الكبرى تحظى بنشاط دولي واسع في مجال الدراسات

الجامعية، ولذلك فإن من المحتمل جداً أن يكون عشرات بل ربما مئات من طلاب الدراسات العليا في أنحاء العالم قد شرعوا في دراسة الموضوع الذي اختاره لنفسه، أو في دراسة ما يماثله. إن تدبر الأمر منذ البدء هو أفضل طريق لتجنب خيبة الأمل فيما بعد، وإن من السذاجة أن يفترض أي شخص بأنه يمتلك حق الامتياز في موضوع فكري حتى لو أعلن على رؤوس الأشهاد بأنه ينوي القيام ببحثه. وما لم يكن الموضوع قد بلغ في دقة التحديد قدراً متناهياً فإن من غير المحتمل أن تتفق أطروحتان في المضمون والعنوان، فالتفرد سمة ذهنية يستطيع كل شخص ــ سواء كان ذكياً أو غير ذكي ــ أن يفترض بحق وجودها فيه. وإن مزيداً من الثقة بالنفس في هذا الميدان ليعتبر مؤهلاً ضرورياً عند القيام بعبء البحث. ذلك لأن هذه الثقة ستميل إلى التلاشي أثناء كتابة البحث.

وكثيراً ما يكون البحث مخيباً للآمال في نتائجه المباشرة. ولكن اللوم لا يقع حينئذ على أحد إذا ما سلك البحث في بعض الأحيان طرقاً مسدودةً، أو اضطر الباحث إلى أن يصرف النظر عن تلك الجوانب التي بدت في وقت من الأوقات جوانب واعدة. ومن المحتمل أن كل بحث فكري أصيل سيمر بتجارب من هذا النوع، وأنه سيشهد

كذلك لحظات من بهجة الاكتشاف ومتعته. ولا مفر من أن يضيع شيء من الوقت ـ إذا كان الوصول إلى نتائج سلبية يدعى تضييعاً ـ في المراحل الأولى من البحث، وسيكون من المدهش ألا يكون الأمر كذلك.

ويحتاج موضوع الأطروحة إلى أن تكون له صلة ما بالمكان الذي سيتم بحثه فيه، فإذا كان الأمر يقتضي استخدام مخطوطة أو مجموعة خاصة من الكتب، فإن من الطبيعي أن يتقدم الطالب للالتحاق بجامعة تكون قريبة من تلك المخطوطة أو المجموعة. وترحب الجامعات بالطالب ترحيباً كريماً حينما تدرك بأن لديها إمكانات فريدة بالنسبة لموضوعه، ولكنها قد لا تقبل الطالب المتفوق الذي يقترح موضوعاً جيداً إذا كان لا يستطيع بسهولة أن يتابع بحث موضوعه في مكان دراسته أو في مكان قريب منه. وتأخذ الجامعات في الاعتبار كذلك إمكاناتها في مجال الإرشاد والإشراف، فإذا رغب طالب أجنبي ـ مثلاً ـ في بحث قضية تتعلق بأدب بلاده في جامعة بريطانية أو أميركية، فإنه غالباً ما يشعر بأن لتجربته الوطنية ولغته القومية ميزة خاصة، ولكن يجب عليه أيضاً أن ينظر فيما إذا كان سيستطيع أن يفيد من هذه الميزة في الجامعة التي يريد أن يتقدم للالتحاق بها. ومن المفيد في مثل هذه الأحوال،

أن يسأل أولاً عن وجود المكتبة المناسبة والإمكانات العلمية الأخرى، فإذا كانت هذه موجودة فإن ذلك سيساعد في إضفاء جو من الجد على طلب الالتحاق الذي سيتقدم به. وعندما تعقد اللجان الجامعية للنظر في المرشحين للدراسات العليا فإنها لا تسأل عن مدى قدرة الطالب على القيام ببحثه فقط، ولكنها تسأل كذلك: «وهل يستطيع إعداد بحثه هنا؟».

وأخيراً، فإن على الطالب الذي يقدم موضوعاً للبحث أن يسأل نفسه ذلك السؤال الملح: «وما الغرض من هذا البحث؟» فالأطروحة ليست عملية تعليمية فحسب، إنها أيضاً عمل علمي يراد به وبماله من فضائل أن يعجب عالماً مختصاً في الموضوع، وأن يجيب عن أسئلة تحتاج إلى إجابة. وإذا ما كانت المحاولة جيدة فسيستخدم الأجوبة علماء آخرون في مجال التدريس والتأليف. وإن من الأفضل أن يجابه المرء قضية الهدف في مرحلة مبكرة، فالجواب الإيجابي لا يساعد في ضمان النجاح النهائي للأطروحة فحسب، ولكنه يمد الطالب كذلك بالثقة أثناء إعداد البحث.

□ □ □

المصادر

إن من أبرز ملامح الموهبة العلمية ـ التي قد تواتي التلميذ في مدرسته ـ أن يدرك الطالب بأن ليس كل مطبوع صحيحاً، وأن المطبوعات لا تتساوى في درجة صحتها. ولعل من الطبيعي أن يفترض الباحث الناشىء في بداية أمره بأن لكل الأعمال المنشورة قدراً متساوياً من الاعتبار، وأن يطلع عليها جميعها قبل البدء في الكتابة، وذلك ليتسنى له معرفة قيمتها العلمية وتحديد صلتها بموضوع بحثه. إن البحث لا يحتاج إلى الموهبة الذهنية فحسب، ولكنه يحتاج كذلك إلى الدأب والمثابرة. فالخبرة تجعل الباحث يدرك منذ البدء كيف يختار من الكتب والمقالات ما يهمه، وما سيفيد منه، فما وضعت الفهارس وقوائم المحتويات إلا لتوفر الوقت الذي قد يحتاج إليه الباحث في الاطلاع على كتب أخرى. وقد عرف عن الدكتور جونسون استخفافه بأولئك الذين يصرون على قراءة الكتب بأكملها.

ومن الطبيعي أن يتجه الدارس إلى المصادر الثانوية ليلم بالجوانب التي يتألف منها موضوع بحثه. وهناك مصادر يُعول عليها في هذا الصدد، فلو نظرنا إلى الفترات الرئيسة في الأدب الإنجليزي ـ مثلاً ـ لوجدنا أن هناك فهارس سنوية تخصها بها المجلات العلمية في أميركا. ولكن مما يثبط همة الباحث ويثني عزمه أن يعمد إلى كتابة قوائم طويلة بجميع الأبحاث الجديدة آملاً أن يطلع عليها جميعها. إنه ينبغي أن تكون القراءة ذات صلة وثيقة بالبحث، وألا تكون عفوية تخضع لما تمليه طبيعة المراجع من تباين واختلاف. وليس من الأفضل أن يتناول المرء المصادر العلمية بحسب الترتيب الزمني الذي كتبت فيه، بل يبدأ بقراءة أحدثها صدوراً ثم يعود إلى قراءة ما ألف من قبل وذلك بحسب صلتها بالموضوع.

أما إذا كان البحث يدور حول أديب من الأدباء البارزين الذين تتالى حولهم الدراسات، فإن من المحتمل أن يكون أحدث الأبحاث سبباً في جعل البحوث السابقة تفقد شيئاً من أهميتها، كما أن هذا البحث قد يشير إلى ما يستحق أن يشار إليه مما تحفل به تلك البحوث. ومن الطبيعي أن تتفوق الطبعة الجديدة من أي مرجع على ما سبقها من طبعات، ولكن الباحث الخبير قد يجد

ـ مثلاً ـ أن سيرة معينة من سير القرن التاسع عشر أو طبعة لكتاب من كتبه تفضل بكثير ما صدر بعدها من سير أو طبعات.

وقد يتجاهل الباحث المبتدىء في بعض الأحيان الفرق بين المصدر الأساسي والمصدر الثانوي. إن البحث حين يدور حول أدب ديكنز، فإن أعمال ديكنز نفسها هي المصدر الأساسي للأدلة، أما ما كتبه قسينج أو جورج أورول عن ديكنز فهي مصادر ثانوية. وإن استشهاداً بالمصدر الأساسي ليختلف في قيمته اختلافاً تاماً عن الاستشهاد بالمصدر الثانوي. وليس هذا تقليلاً من أهمية المصادر الثانوية، فمعرفتها ضرورية للباحث، ذلك لأن الإحاطة بها تمنعه من أن يقدم لقرائه بأسلوب المكتشف حقيقة من الحقائق التي عرفت من قبل، أو ينبري مدافعاً عن قضية ثبت بطلانها. وقد أخذ أكتون على بِكل أنه أجهد نفسه ليقول أشياء قد قيلت من قبل في مؤلفات لم يطلع عليها، وكتبت بأسلوب يفوق أسلوبه حسناً وبياناً.

ولا يستغني الباحث المبتدىء عن أن يلم بأصول البحث، ولكن ينبغي ألا ينظر إلى هذه الأصول نظرة تخرجها عن طبيعتها الإرشادية. وليست المصادر الثانوية شبيهة بالمصادر الأساسية من حيث قيمتها ووظيفتها، فإذا كان لا يمكن

للمصادر الثانوية أن تصبح لبنات في بناء البحث، فإنها لا تصلح ــ من باب أولى ــ لأن تستخدم أحجاراً في الأساس. ومهما كانت آراء ڤيسنج وأورول في ديكنز تدل على سعة في الاطلاع، ونفاذ في البصيرة، فإنها لا تعدو ــ في الحقيقة ــ أمرين اثنين، فإما أن تكون آراء مقنعة، فيصبح هناك ما يدعو لفحص أدلتها ومناقشتها من أجل تبين أسباب صحتها، وإما أن تكون آراؤهما غير صحيحة فيصير هذا الخطأ فرصة سانحة لتفنيد حججهما في أسلوب بياني مفحم. غير أن هذه جميعها ليست سوى أمور تنظيمية محضة. أما أسباب الاستشهاد بمثل هذه المصادر الثانوية فقد لا يكون مبعثها إلا القيام بعمل شكلي؛ أو تصنع الاستقصاء والشمول في البحث. وليس هناك مبدأ يسترشد به في هذا المجال، أو قاعدة يرجع إليها في هذا الشأن.

ورغم أنه سيكون من غير المألوف أن تخلو الأطروحة من ذكر بعض المصادر الثانوية، إلا أنه ليس من المفروض فرضاً جازماً أن تذكر هذه المصادر. إنه لا بد من أن تؤخذ المصادر الثانوية في الحسبان لكي يستطيع الباحث أن يعالج الموضوع بطريقة تدل على إحاطته به، وتشهد بتمكنه منه. وربما كان باستطاعته أن يحقق هذا دون أن يلجأ إلى حشد

الكثير من أسماء الأعلام، أو يضطر إلى إيراد الاستطرادات أو الهوامش المطولة التي تسرد ما لقضية البحث من تاريخ في الدراسات الحديثة. ومع أن هذا الأمر ليس ممنوعاً، إلا أنه شيء غير مرغوب فيه في مجال كتابة البحث.

ومما لا داعي له في كثير من مجالات البحث الأدبي، أن يحصر المرء نفسه في لون معين من المصادر، كأن يفترض بأن المادة العلمية المتعلقة ببحثه هي تلك التي توجد في الكتب وحدها. إن المجلات الدورية مصدر مهم في بعض الميادين الأدبية، كالأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي في القرنين الماضيين، فهي تخفي في صفحاتها من النصوص الأصلية والمعلومات الثانوية ما لم يستخدم بعد في أي بحث من الأبحاث الحديثة. إن الدوريات حقل بكر عرف منه القليل، ولكن أكثره ما زال مطموراً في رفوف المكتبات.

□ □ □

التأليف

يظن البعض أن البحث الأدبـي إنما يتكون من خطة طويلة للقراءة يصحبها تسجيل شامل للملاحظات ثم ينتهي بالتأليف في حالة من حالات الاندفـاع القوي المفاجىء. وغالباً ما يؤدي مثل هذا العمل إلى الإحباط والفشل، إذ ليس هناك في الحياة الأدبية ما هو أكثر تثبيطاً للعـزم من أن يرى الكـاتب أمامـه ركامـاً كبيراً من الملاحظات، حتى ولو كانت هذه الملاحـظات مقروءة واضحة، وإن مجموعة من الملاحظات المشتتة المبعثـرة لتكفي للقضاء على كل طموح أدبـي ما لم يكن الباحث صلداً لا تثنية الصعوبات. وفي العادة أن طالب الدراسات العليا لم يكتب من قبل أطـول من المقالـة الأسبوعيـة أو الفصلية، ولذلك فإن باستطاعته أن يفترض أن حياة طالب الدراسات العليا تعني الفكاك من الموعد النهائي المحدد لتقديم المقالات، ولكنه ربما احتاج إلى من يقنعه

بأن الكتب والأطروحات إنما تكتب مجزأة على مراحل، وأنه يحسن بالباحث في كل مرحلة أن يصمم على تقديم كل جزء مما كتبه في صورة تقرب من شكله النهائي. ومن الأفضل أن يبدأ الطالب في التأليف مبكراً، فالمرء لا يبدأ في إدراك حقيقة الأسئلة العلمية ـ كما يعرف ذلك المؤلفون ـ إلا بعد البدء في الكتابة. كما أن الطموح المجرد للكتابة لا يتحول إلى حماسة منظمة ثابتة إلا بعد أن يكتب الباحث شيئاً ما حتى ولو كان هذا الشيء محدداً في مقداره.

وأولى الخطوات التي يحسن بالباحث أن يقوم بها هي أن يسود فهرساً للمحتويات. وقد يبدو هذا عملاً متسرعاً، ولكنه لا يقصد بالفهرس الأولي أن يلزم أحداً بشيء ما، إذ لم يوجد إلا لكي يجعل الطالب والمشرف على بينة مما يراد بحثه. وقد لا يكون للأطروحة حين تكتمل سوى صلة قليلة بالفهرس الأولي، ولكنه رغم هذا يكون قد حقق هدفه المنشود. وإن من الطبيعي أن يغير المرء رأيه، ولكن من الواجب أولاً أن تكون لديه الفكرة حتى يغيرها. ويود المؤلف أن يشعر نفسه بالمفاجأة، ولكن عليه لكي يتم له ذلك أن يضع أفكاره الأولى في شكل مرئي حتى يتبين ما فيها من جوانب الضعف. وما لم يكن هناك فهرس يبين العناوين القصيرة المؤقتة لمجموعة من الفصول التي رتبت

بطريقة مؤقتة كذلك، فإن من المستحيل على الباحث أن يسأل ـ وقد لا يكون هذا في الفصل الأول ـ الأسئلة العملية الأولى التي تنشأ عند التأليف: من أين يبدأ الكتابة؟ وماذا يجب عليه أن يقرأ لكي يملأ فراغاً واضحاً في مجال المعرفة؟ وأين يذهب إذا ما احتاج إلى مواد علمية خاصة؟ وكيف يستطيع أن يقسم العمل في حدود الفترة الزمنية المعينة؟ وليس هناك من سبب في تأخير هذه القرارات حتى لو بدا أنها تدعو للتفاؤل، أو أنها قد تكون خاطئة في ضوء ما يظهر من اكتشافات غير متوقعة. وإذا كان اقتراح البحث أصيلاً، فإنه لا مفرّ من أن تكون مسودة فهرس المحتويات نابعة منه.

وإذا ما حُلّت مشكلة التخطيط الملحة فإن هذا يعتبر في حد ذاته منهاجاً للعمل، فعادة ما تبين مسودة المحتويات ما يمكن أن يعمل مباشرة وما يحتاج أمره إلى تأخير. وهذه هي المرحلة التي يبدأ فيها المرء بالكتابة، ومن الأفضل أن يبدأ حالاً، ولكن من الصعب أن يحاول تسويد الفصل الأول قبل أن تتبين صلته ببقية الفصول. ويحتاج المؤلف إلى أن يدرك أن بإمكانه أن يترك تناول بعض القضايا المعينة في فصل من الفصول إذا كانت ستعالج في مكان آخر، إذ لا يستطيع أن يناقش الموضوع برمته في كل موضع.

ومن فوائد فهرس المحتويات أنه يوفر للباحث ما يحتاج إليه من تحديد، فباستطاعته أن يثق بقدرته على تأليف فصل معين ذي مدى محدود. إنه لا يستطيع أن يهجم على معالجة الموضوع دفعة واحدة، ولكن من الممكن أن يشعر بشيء من الثقة في القدرة على كتابة جزء لا يتجاوز عشرة آلاف كلمة، وقلما يجلس المرء إلى مكتبه وفي نيته أن يكتب أطروحة أو كتاباً.

وربما كان فهرس المحتويات خطوة ضرورية كذلك في جمع الأدلة والحقائق. ومن المنغصات في البحث أنه قلما يعثر الباحث على المواد العلمية مرتبة بحسب النسق الذي سيتم استخدامها فيه. ولعل من المفيد في هذا الصدد أن يستخدم الباحث كراسة صغيرة ذات أوراق غير ثابتة، إنها أفضل من البطاقات، ذلك لأنه ليس من السهل ضياعها، كما أنها أقل من البطاقات تعرضاً للتبعثر والاختلاط. وإذا ما دونت في هذه الكراسة المعلومات المطبعية عن الكتب الأساسية، فإن هذا سيوفر للباحث وقته الذي يقضيه في المكتبة. ومن الأفضل أن تُنظم الكراسة بحسب العناوين المؤقتة للفصول، وذلك لكي يتم تسجيل المعلومات في أماكنها المناسبة. وقد قيل بأن الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (١٥٨٨ ــ ١٦٧٩) وجد أن من المفيد عندما كان

يؤلف كتابه «الدولة الدكتاتورية» أن يعرف سابقاً النسق الذي يرتب بحسبه ملاحظاته، فقد قال أوبري بأنه: «قد وضع تصميم كتابه في شكل فصول، ولذلك عرف ما سيكون عليه الكتاب».

ومن الأمور التي قد لا يتم إدراكها إدراكاً كافياً في وقت مبكر، هو أن البحث يتطلب درجة عالية من الكفاءة في فرز المعلومات وتصنيفها. وقد تبدو هذه الكفاءة عند كبار الباحثين أمراً متصلاً بطرقهم الخاصة المتميزة، ولكن الباحث يحتاج بطريقة أو أخرى إلى أن تكون هذه الصفة موجودة فيه. ومن المؤكد أن القول بأن حاجة البحث إلى الكفاءة أقل من حاجة العمل الإداري الكبير إليها قول لا دليل عليه، فللإداري أو رجل الأعمال كاتب سر كفوء يقوم بالعمل نيابة عنه، ولكنه ليس لطالب الدراسات العليا في الأعم الأغلب مثل هذا المساعد المعين. وعندما يقع الطالب في خطأ من الأخطاء التي تضيع الوقت، كما إذا فقد مرجعاً من المراجع فإنه ليس هناك أحد سواه للقيام بالبحث عنه واستعادته.

ويجد بعض الطلاب صعوبة في الكتابة ولكنهم لا يدركون دائماً بأن هذه حالة من الحالات العامة التي يجابهها المؤلفون كثيراً ولا سيما في بداية عملهم. ومن

الممكن أن تقدم بعض الاقتراحات التجريبية لمواجهة هذه المشكلة الدقيقة وذلك بالرغم من أنه قد يصعب على المرء ألا يضحي بالأمور الضرورية في سبيل التعميم. فمن الحلول التي قد تروق لأولي العزم القوي ذلك الحل الذي يتمثل في ضبط الذات وترويض النفس. وهذا يشبه تصميم الشاعر براوننج في فترة من فترات حياته الشعرية على أن يكتب قصيدة في كل يوم. وقد يعني هذا في المجال العلمي أن يكتب الباحث كل يوم صفحة في الأقل، وربما شمل هذا أن يعزم كذلك على أن يجلس إلى مكتبه في ساعة معينة. وبما أن الحياة عند معظم طلاب الدراسات العليا في حاجة ماسة إلى الانضباط والتحديد، فإن الأهمية الكبرى في هذا المطلب تكمن فيما يقتضيه من دقة وتحديد. وربما كان من المفيد أن يدرك الطالب ضآلة ما تحتاج إليه الأطروحة من عمل يومي، فقد يبدو حجمها الكامل مخيفاً أول الأمر، ولكنه ليس بعسير على الباحث أن يكتب ألف كلمة في جلسة واحدة. وإن عملية حسابية تعتمد على هذا أو على ما يشبهه من اقتراحات ستجعل أمر إنجاز ذلك الحجم شيئاً ممكناً خلال عدة شهور. ومن الأفضل دائماً في ميدان التأليف أن يقف المرء كل يوم في موقف يتيح له متابعة التقدم، وييسر عليه أمر العودة إلى الكتابة.

وهناك طريقة أخرى قد تكون أكثر فائدة في حالات معينة، فبعض المؤلفين يجدون صعوبة في الكتابة لأنهم لا يستطيعون التفكير في جمهورهم القارىء، ولكنهم لا يواجهون مثل هذه الصعوبة حينما يتحدثون أو يكتبون إلى أحد ممن يألفونه. فإذا وجد الطالب بسبب هذا صعوبة في البدء بالكتابة، فقد يكون من الأيسر له أن يقدم المسودة الأولى في شكل خطاب يوجهه إلى المشرف أو المرشد.

أما الاقتراح الثالث فهو مبني على تحليل الكيفية التي يتم بها التأليف، فغالباً ما يمر عمل الكتابة العلمية بثلاث مراحل:

١ ـ تدوين الملاحظات، ويبدأ في هذه المرحلة تكوين النقاش.

٢ ـ المسودة الأولى.

٣ ـ التنقيح حيث توضع التفاصيل وتصحح الاقتباسات والمراجع وتحذف الشوائب الأسلوبية، وذلك تمهيداً لتبييض النسخة الأخيرة التي تخلو من العيوب.

وتكمن الصعوبات الجمة عادة في المرحلة الثانية، فمعظم المؤلفين يشعرون أثناء جمع المواد العلمية وتدوين

الملاحظات بسرور بالغ، ولذلك فإن مشكلة المؤلف الحقيقية هنا ليست في كيفية البدء، ولكنها تكمن في كيفية الوقوف. أما مرحلة التنقيح فإنها ليست في العادة عملاً شاقاً. فما دام أن الحديث قد دون في الصفحات ـ حتى ولو كان التدوين ركيكاً مشوشاً ـ فإن من اليسير أن ينظر المرء فيما يحتاج إليه من إصلاح وتقويم. وإذا كانت في المرحلة الثانية مشاكل دقيقة محرجة، فإن هذا قد يكون بسبب أن المؤلف لم يعط للمرحلتين الأولى والثالثة وزناً كافياً. ومن الممكن أن تخفف هذه الصعوبات إذا ما عزم الباحث منذ البدء على أن يوزع العبء على المراحل جميعها. فإذا عرف الكاتب مبكراً كيف يدون الملاحظات بطريقة وافية منظمة، فإنه يكون قد اجتاز ـ في الأقل ـ نصف الطريق نحو الكتابة النهائية. وإذا ما أجل ـ أثناء إعداد مسودته الأولى ـ معظم القضايا الأسلوبية الدقيقة إلى مرحلة التنقيح فإنه سرعان ما يجد أن مصاعبه الكتابية قد تضاءلت أو اختفت.

□ □ □

٩

النقاش

تعتبر الأطروحة الأدبية ـ في العادة ـ رسالة جدلية، وحين تحظى هذه الرسالة باهتمام مؤلف ذي سمعة علمية كما هو الحال في الغالب، فإن من المحتمل أن تكون حلقة أولى في مناظرة طويلة مستمرة. وهذا مظهر من المظاهر اللازمة للتقدم الفكري في ميدان الفنون والعلوم. وإذا ما قال قائل بأن مثل هذا العمل العلمي سرعان ما يهجر ويصبح شيئاً عتيقاً فإنه يكون قد جاوز الصواب، ذلك لأن صفة القدم هذه هي وحدها التي تدل على أن الإسهام العلمي في مجال المعرفة الإنسانية قد أدى الغرض الذي وجد من أجله. فقليل من طلاب الفيزياء يقرأون الآن لإسحاق نيوتن وذلك لسبب بسيط هو أن المكتشفين المتأخرين قد استخدموا اكتشافات نيوتن ونقحوها. ولم تستخدم هذه الاكتشافات وتنقح إلا لأنها كانت تستحق ذلك. وإذا ما حافظ الاكتشاف الفكري على نفس الشكل

الذي قدم به فإن هذا يدل ــ في الظروف العادية ــ على أنه شيء تافه لا قيمة له.

ورغم أن الباحث قد يهتم بجمع الحقائق في مواضع معينة ولأغراض محددة، إلا أن المناقشة ليست جمعاً للحقائق فحسب، ولكنها لون من ألوان الجدل الفكري. ولعل أعم الأسباب لكتابة الأطروحة وأفضلها هو أن يرى الطالب أن في الحالة الراهنة لموضوع من الموضوعات الفكرية خطأ فيود أن يصححه، أو نقصاً فيريد أن يتمه. ويعتبر مثل هذا الشعور بعدم الرضا من بين الدوافع العلمية الرئيسة، إنه يشحذ العزيمة نحو العمل والكتابة، فالمهمة ليست سوى تصحيح للخطأ، كما أنه يساعد في تكوين المناقشة ذاتها حيث يأتي الدليل في شكل واضح جلي. وعندما يوضع الحق في نصابه كما يكون الأمر في مرافعة المحامي أو في خطبة السياسي، فإنه لن يكون هناك غموض أو خفاء حول العلاقة بين القضية التي عرضت والدليل الذي قدم من أجل تأييدها. وتعتبر الطريقة الجدلية أقوى الطرق وأكثرها نفعاً في صياغة العمل العلمي وتأليفه.

ومما يجدر ذكره أن الخلاف العلمي مع العلماء البارزين أمر مشروع. وإذا ما أجيد استخدام مثل هذا

الخلاف فإنه قد يساعد أكثر من أي شيء آخر في بناء تركيب منطقي مؤثر. ولكن هناك شرطين يجب ذكرهما هنا: الأول أن يكون الخلاف مؤدباً سواء كان الخصم حياً أو ميتاً، وألا يترك هذا الخلاف لدى القارىء انطباعاً بأن فيه أثراً من آثار حب الانتقام. إن الخصم العلمي لا يضار إلا نادراً بمثل هذا الهجوم، ولكن الضرر يقع دائمًا على المؤلف المهاجم نفسه. الشرط الثاني هو أن يكون الهدف مهمًا، فإن الرأي السخيف لا يستحق الاعتبار. وقد تساعد المبارزة المؤدبة في تسيير دفة النقاش، ولكنها لا توحي إلا بالتفاهة إذا كان الخصم غير جدير بالعراك. ولا تكون المبارزة مجدية إلا إذا كان الخطأ واسع الانتشار، فليس هناك من داع لمؤاخذة الدكتور (س) إذا لم يصدق قوله أحد قط، وليس هناك من سبب في تعداد الأغلاط التافهة مثل عدم الصحة في الاقتباس أو النقل، إن من الممكن أن يشار إلى هذه الأغلاط، ولكنها لا تستحق وحدها الاهتمام والتأكيد. وكما أنّه لا توجد نسخة خالية من العيوب، فإنه لا يوجد بين المؤلفين من ليس عرضة لمثل هذه التهم. ولذلك فإن من الأجدر بالمرء أن يتحلى بفضيلة التسامح التي يحتاج هو نفسه إلى من يعامله بها.

وإذا كان المشتغلون بالتأليف يعانون في الغالب من

الشعور بالعزلة القاسية، فإن من يعمل منهم في ميدان النقد والنقاش أكثر عرضة لهذا الشعور. ولا يستطيع المرء أن يقرر بسهولة ما إذا كانت مناقشة الآخرين جديرة بالهجوم أو الإهمال، ذلك أن هذا أمر نسبي يرجع فيه إلى الجو الفكري الذي يعيش المرء فيه، ولكن مما يساعده في تقدير الأمر أن يتحدث في مثل هذا الشأن إلى من يشاء من الناس، وقد يزيد القضية وضوحاً أن يسأل المؤلف عن عمله وعن السبب الذي عمله من أجله. ومما يساعده كذلك في اختيار الأسلوب المناسب للنقاش العلمي أن يعرض ما كتبه على محك النقد حالما يتم الانتهاء منه. وليس من الضروري أن يكون هذا النقد نقد مختص خبير، ذلك أنه قد يتبين للملاحظ منذ الوهلة الأولى: أيتسم النقاش بقدر معقول من الأدب والمجاملة أم إنه يفتقر إلى هذه الصفة. وقد يولي المؤلف إحدى الحقائق كثيراً من الاهتمام، ولكن ربما رأى الناقد أنها ليست جديرة بشيء من هذا. وقد يلحظ الناقد كذلك أن رأياً جدلياً عالجه المؤلف بالتفصيل في المسودة الأولى قد أصبح بعد ذلك شيئاً مقبولاً على نطاق واسع بحيث لا يحتاج الآن إلى من يطيل في تبيانه.

□ □ □

١٠

الأسلوب

إن مما يطمئن الباحث أن يتذكر بأنه قلما يتوقع من الأطروحة العلمية أن تكون عملاً من أعمال التسلية والإمتاع. وإذا كان مما يدعو للأسف أن تتسم الأطروحة بكثير من الفتور والجفاف، فإن هذا ليس عيباً جوهرياً يفقدها قيمتها. ولكن ينبغي أن يراعي كل من الطالب والممتحن أن تقدم الأطروحة بطريقة تبعث الباحثين على الاهتمام بها. وإذا لم يكن هذا متوافراً في كل جملة من جملها، فلا أقل من أن يكون ذلك سمة من السمات التي تتصف بها كل صفحة من صفحاتها.

وقد لا يوجد بين الباحثين من يعمد إلى استخدام الأسلوب الفاتر الجاف في أبحاثه، بل إن معظمهم ليعلنون حرصهم على تفادي مثل هذا الأسلوب. ولكن هذا لا يعني أنهم إنما يهدفون إلى استعمال الأساليب البيانية المجنحة التي قلما كانت غرضاً من الأغراض التي يطمحون

إلى بلوغها. إن باستطاعة الكاتب أن يجعل أسلوبه سلساً واضحاً دونما حاجة إلى التكلف في الصنعة البيانية، أو اللجوء إلى جفاف العبارة وفتورها. وربما كان في استخدام النغمة التحليلية الهادئة ما يوفر للأسلوب نصيباً من الدقة والفردية، ويضفي عليه ظلاً من ظلال المرح والبهجة. ومن الطبيعي في تاريخ الأدب ونقده أن يتساءل القارىء عما إذا كان من حق الناقد الذي يستخدم اللغة استخداماً خاصاً أن يُصغى إليه باحترام حينما يتحدث عن لغة الآخرين.

ولا بد للطالب من أن يدرك بأن الأغلاط اللغوية والمطبعية في أطروحة أدبية ستجعله عرضة لأن يتهم بالجهل، ويُرمى بالأمية. إنه وحده مسؤول عن هذا فإذا كان الطابع غير دقيق في نسخه، فعليه أن يصحح الأغلاط الإملائية، وأخطاء الترقيم قبل أن يقدم الأطروحة للمناقشة، كما أنه مسؤول مسؤولية محضة عن تلك الأغلاط اللغوية التي تنم عن نقص في المهارة، أو تهاون في التنقيح. وإن مما يهم الممتحنين أن يروا مقدرة الطالب في اللغة، ومدى تمكنه فيها. وليس على المشرف أو المرشد أن يُرى الطالب كيف يكتب البحث عبارة عبارة، أو فقرة فقرة. فالقضية هنا ليست محصورة في مدى مراعاة الطالب

لقواعد معينة، بل هي أشمل من ذلك، وأبلغ أثراً، إنها قضية تتصل بثقة الطالب بنفسه، وقدرته على الاستقلال الذهني. ويشكو طلاب الدراسات العليا ـ في العادة ـ من قلة في مفرداتهم اللغوية، وضعف في مقدرتهم التعبيرية. ولكنهم في الحقيقة لا يدركون مدى السعة في حصيلتهم اللغوية، والشمول في نظرتهم الفكرية.

ويعتبر الإسهاب من بين العيوب الشائعة في أسلوب الكتابة العلمية، ولذا فإن من المناسب حين يراجع الكاتب مسودة البحث الأولى أن يسأل نفسه عما إذا كانت كل كلمة أو عبارة أو جملة تؤدي وظيفة تبرر وجودها في تلك الصفحة، فإن لم تكن كذلك فينبغي حذفها. ومما يجب الاستغناء عنه تلك التعبيرات المسهبة الفضفاضة من مثل قولهم: «وقبل أن نتطرق لهذا السؤال، فإن من الضروري باديء ذي بدء أن نعرض لكذا. . .» أو قولهم: «ولم يقصد بهذا أن يقال بأن. . .» وإذا كانت هناك فقرات يحاول الكاتب جاهداً أن يوضح فيها قضية من القضايا العلمية التي أصبح أمرها معروفاً، فإن من الأجدى أن يتخلص البحث منها. ويؤدي الإفراط في استخدام أسلوب الإطناب إلى تضخيم حجم الأطروحة بحيث يتجاوز ذلك الحد الذي يمكن تحمله والصبر عليه. كما أنه قد يلقي

كذلك ظلالا قوية من الشك حول قدرة المؤلف على تنسيق أفكاره، واختيار ما يناسب الموضوع مما يزدحم به ذهنه من معلومات. وينبغي للباحث أن يتجنب استعمال تلك الكلمات التي أخذ الجامعيون في الإكثار من استخدامها. فالأنماط الأسلوبية السائدة تتعاقب ما بين ظهور واختفاء، ولكن مما يبعث الأسى أن تظل بعض التعبيرات الجامعية العتيقة متداولة عاماً بعد عام.

□ □ □

١١

الإشراف

دأبت الجامعات أن تعهد بطالب الدراسات العليا إلى واحد من كبار الأساتذة في القسم أو الكلية ليشرف على بحثه، ويتولى المسؤولية في توجيه دراسته. ويختلف الأمر اختلافاً شديداً بين الجامعات في تحديد العلاقة بين الأستاذ المشرف وطالب الدراسات العليا. ولهذا فإنا لن نحاول أن نصور هنا الوضع الأمثل لهذه الصلة، ولكنا سنشير إلى بعض المفاهيم الخاطئة التي تحوط هذه العلاقة.

حين تقبل الجامعة طالب الدراسة العليا فإنها تفترض أن لديه من القدرة ما يمكنه من القيام بعملية البحث العلمي، أو أنه يملك من الاستعداد ما يجعله يكتشف كيف يقوم بذلك. ومن الطبيعي أن يوجه الأستاذ المشرف الطالب إلى ما نشر من معلومات حول نظريات البحث وأساليبه، ولكنه ليس جزءاً من واجبه أن يشرح للطالب الكيفية التي يتم بها إجراء البحث. وتعد كثير من

الجامعات لطلاب الدراسات العليا دروساً في طرق البحث العلمي. ولا تكمن مهمة الأستاذ المشرف في تزويد الطالب بالمعلومات بقدر ما تكمن في إسداء النصح له، وإمداده بالتشجيع المعنوي، وتحذيره من أن يتسرع في إبداء الافتراضات حين يناقش قضية من القضايا العلمية. إن على المشرف أن يحذره في وقت مبكر من ادعاء الفروض، ذلك لأن الاعتماد على مثل هذا النهج الفكري في كل فصل من الفصول قد يؤدي إلى بطلان الرسالة بأكملها. وبالإضافة إلى ذلك، فقد ينمي المشرف في نفس الطالب الإحساس بقيمة التنظيم في استخدام الوقت. وإذا استثنينا بعضاً ممن اتخذوا النظام في العمل عادة لا يتخلون عنها، فإن المؤلفين جميعاً في حاجة إلى تنظيم الوقت. وربما كان من أكبر الفوائد التي يجنيها الطالب أن يحدد معه المشرف موعداً معيناً لتسليم المسودة الأولى لفصل من الفصول. إن مثل هذا الاتفاق الذي يتم بين المشرف وطالب الدراسات العليا حافز للطالب نحو الجد في البحث، وعامل من العوامل التي تنقذه مما قد يصاب به البعض من خمود في الهمة، وتسويف في العمل.

ويقوم المشرف بالإشراف على كتابة البحث في مسوداته الأول، ولكنه قد لا يرى الأطروحة في شكلها

النهائي إلا في حالات خاصة. وليس من شأنه أن ينظر فيما أخذ به الطالب من نصائحه وما لم يأخذ به، فتلك مسؤولية الطالب حين يقرر أن يأخذ من نصائح أستاذه ما يشاء، ويدع ما يريد. وقد يكون الطالب محقاً عندما يشعر بأنه يعرف عن موضوع بحثه أكثر مما يعرفه أستاذه المشرف. وليس في هذا ما يدعو إلى التعالي أو الادعاء، ذلك لأنه ليس من الصعب على المرء أن يصبح حجة عالمية في قضية علمية دقيقة محددة. وإذا كان الموضوع من مثل هذا النوع، فإن من الطبيعي أن يعرف الطالب عنه بعد أسابيع من التنقيب أكثر مما يعرفه أي إنسان آخر على وجه البسيطة. ولكنه ليس من المحتمل أن يكون الطالب أعلم من أستاذه في مجال الدراسات الأدبية العامة. وحين يدور النقاش في مدى أوسع من تلك القضايا المحددة الضيقة، فسيجد الطالب أن نصائح أستاذه قد أوحت له بكثير من الآراء والاقتراحات.

إن معظم الأساتذة المشرفين مشغولون بالتدريس في مراحل التعليم الجامعي، كما أنهم معنيون كذلك بإعداد أبحاثهم العلمية. وإذا لم يكن من المفروض أن يجلس الأستاذ المشرف إلى تلميذه ليريه كيف يصنع بحثه، فإن من غير المعقول كذلك أن يظن بأن لدى المشرف من الفراغ

ما يتيح للطالب أن يتصل به في أي وقت من الأوقات. ولأن هؤلاء الأساتذة ينتمون إلى عالم الأدب، فإن استعدادهم للإجابة على الخطابات غالباً ما يكون أكثر من استعدادهم لإجابة ما يتلقونه من أسئلة هاتفية. وربما أحس المشرف بالضيق إزاء تلك المواقف المستعجلة الطارئة التي يضعه الطالب أمامها، والتي كان بالإمكان تفاديها لو أن الطالب تدبر الأمر، وأبعد في النظر. ورغم هذا فكثيراً ما تنشأ بين الطالب وأساتذته روابط وثيقة يفيد منها في تحصيله العلمي، وفي الاتصال بعلماء آخرين من زملاء أساتذته. وليس هناك في العادة ما يجرح شعور الأستاذ المشرف إذا ما رغب الطالب أن يغير في وجهته الدراسية. ولا يعتبر هذا شيئاً غريباً، إذ غالباً ما يسبق الأساتذة المشرفون طلابهم في إدراك الحاجة إلى التغيير، وذلك بسبب اتجاه جديد اتجهت إليه الأطروحة، أو عنصر طارىء حدث في العلاقة الشخصية بين الطالب وأستاذه.

□ □ □

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

إعداد الرسائل الجامعية

كتب للمؤلف

- نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية. الرياض ١٩٨٢.
- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني. الطبعة الثانية، الرياض ١٩٨٢.
- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة، الرياض ١٩٨٣.
- كاتب الحي. الرياض، ١٩٨٣.
- إعداد البحث الأدبي. الرياض، ١٩٨٥.
- The Rise of Modern Prose in Saudi Arabia, Riyadh, 1984.